الإنساني 68

عدسة سمر العوف
شاهدة على دمار غزة

عشرية جديدة للحروب العربية (ملف)

تصدر دوريًّا عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد الثامن والستون
ربيع/صيف 2021

كاريكاتور

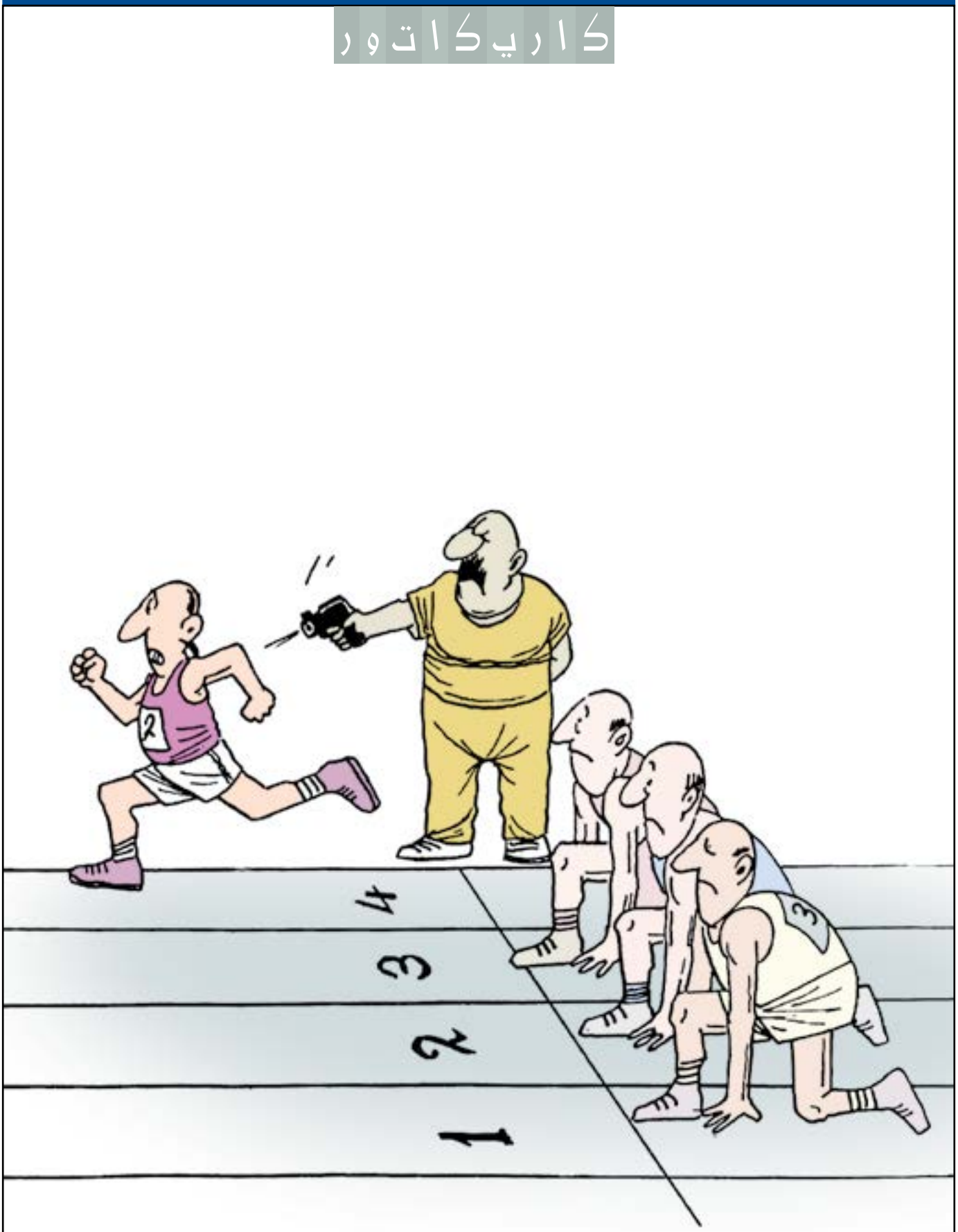

عبد الرحمن عجور، مصر، [1950 – 1998]

عقد عربي جديد من المعاناة

خلال السنوات العشر الماضية، انزلق العالم العربي إلى هوة محنة إنسانية غير مسبوقة. في سورية والعراق وليبيا واليمن ولبنان وغيرها، يقف المرء متحسرًا على النتائج المرعبة للأزمات العميقة التي ضربت هذه المجتمعات: أعداد مهولة من القتلى والجرحى، ودمار واسع النطاق حوَّل مدنًا بـأكملها إلى ركام، وحركات نزوح داخلي خارجة عن السيطرة، وأزمات لاجئين ترددت أصداؤها حول العالم. وفي معظم هذه النزاعات، تعرض الوجدان الإنساني لصدمات مدوية جراء تجاهل الحد الأدنى لقواعد القانون الدولي الإنساني: الهجمات العسكرية غير المتناسبة في مناطق حضرية مأهولة بالسكان، واستهداف عمدي للسكان المدنيين، والأعيان المدنية، والاحتجاز غير القانوني وقطع الصلة بين المحتجزين وذويهم.

في هذا العدد من «الإنساني»، حاولنا إلقاء الضوء على الأزمات والتحديات الإنسانية الكبرى التي تواجهها منطقتنا العربية. في سورية التي عانت نزاعًا وحشيًّا، بلغ مواطنون سن الرشد، وهم لا يعرفون عن وطنهم إلا صور الاقتتال والعنف. وفي اليمن، يختبر الملايين الجوع يوميًّا بفعل التأثير القاتل للنزاع المدمر والانهيار الاقتصادي وتعطل المنظومة الصحية. وفي بيروت، خلف الانفجار الهائل الذي دمر مرفأ بيروت والأحياء المحيطة به أضرارًا جسدية وندوبًا نفسية لدى الناس. وفي غزة، تعاني ملايين العائلات من الأثر المنهك والمستمر للنزاع المسلح.

لم يقتصر هذا العدد من المجلة على رصد وسرد الحقائق القاسية من الميدان، لم نترك أنفسنا لهذا الحصار المحكم من الألم على حال العالم العربي، ذهبنا لنبحث عن قيم الخلاص والأمل في الشعر. فنشرنا مقطوعات شعرية عن اللجوء والحرب، وسرد لنا مقال مطول القيم الإنسانية في شعر الراحل الفلسطيني الكبير محمود درويش.

حوار هذا العدد كان عن التحديات التي واجهت العمل الإنساني جراء جائحة كوفيد19-. يحلل لنا جيل كاربونييه، نائب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، آفاق العمل وخبرة اللجنة الدولية في الوقت الصعب الذي هيمنت فيه الجائحة على السياسة العالمية.

وكعادتنا كل عدد، أفردنا عدة مقالات تتناول بالتحليل والبحث قضايا وإشكاليات في القانون الدولي الإنساني. فنشرنا مقالًا يحلل الإشكاليات القانونية والإنسانية الناجمة عن استخدام الطائرات المسلحة من دون طيار [أو الطائرات المسيَّرة، أو الدرون]. كما أفردنا مقالين لعرض وتحليل التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة بشأن أسرى الحرب. في المقال الأول استعراض لمغزى هذه التعليقات وأهميتها القانونية. وفي الثاني، استعرضنا موقف الفقه الإسلامي وكتابات كبار الفقهاء المسلمين في موضوع أسرى الحرب، وربطها بالقواعد التي تنص عليها اتفاقية جنيف الثالثة.

في العدد مساهمات لكُتَّاب وباحثين من دول عربية عدة. وسعدنا بشكل خاص ونحن نستعرض في باب «عروض الكتب»، كتابًا ألفته الكاتبة السورية الشابة إنجي جرُّوج، التي عاشت تجربة قاسية من النزوح واللجوء، دونتها وهي في سن السادسة عشرة لتعبِّر عن معاناة الأطفال تحت نير الحروب.

نأمل أن تجدوا في هذا العدد مادة مفيدة وخريطة لأبعاد الأزمة الإنسانية في العالم العربي، وإضاءة على دور القانون الدولي الإنساني في الخروج من هذه الأزمة.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر دوريًّا عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير **زينب غصن**

مدير التحرير **أحمد زكي عثمان**

مستشار التحرير **مارتن أونترنيرر**

الإشراف الفني **أحمد اللباد**

المراسلات : 84 شارع 104 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 41/ 25281540-202+ فاكس : 25281566-202+
البريد الإلكتروني: alinsani@icrc.org
الموقع الإلكتروني: http://blogs.icrc.org/alinsani/

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

طفلة فلسطينية تنظر إلى الدمار الذي لحق بمخيم اليرموك في العاصمة السورية دمشق. (تصوير: لؤي بشارة/ وكالة الأنباء الفرنسية)

68

ربيع/صيف 2021

لقمة الخبز تعني الكثير: العنف في تيغراي وأبعاد أزمة إنسانية مروعة في إثيوبيا 05

الملف: عشرية جديدة للحروب العربية 09

الحصاد المر: تكلفة إنسانية ضخمة لعشرية الحروب العربية ..... أماني سليمان 10

سورية: عشر سنوات ومشهد إنساني بالغ القتامة 13

لعبة الحياة ..... ناهد هاشم 16

النزاع في اليمن: العيون لا تكذب أبدًا ..... بشير عمر 17

بلد تتكلم فيه الجدران: اللغة ليست حاجزًا لفهم المعاناة في اليمن ..... سيلين ديجين 19

«يخيل لي أني أتيت بالحرب معي»، قصائد عن الحرب واللجوء..... ترجمة: ضي رحمي 22

ضابط الإسعاف الفلسطيني غازي عكيلة: لم نتخيل أن نذهب لانتشال أسر بأكملها من تحت الركام ..... حاوره: هشام مهنا 24

بين نار المواساة والتغطية الصحفية: عدسة سمر العوف شاهدة على دمار غزة 26

وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ: الإنسانية في شعر محمود درويش ..... سيد محمود 32

عشر سنوات من المشي في المكان ..... نورا ناجي 35

معضلة المشروعية: الطائرات المسيَّرة وإشكاليات الامتثال للقانون الدولي ..... أبو بكر الديب 39

نائب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر جيل كاربونييه: جائحة كوفيد-19 لم تمنعنا من تنفيذ 90 في المائة من أنشطتنا في الميدان ..... حاورته زينب غضن 42

أداة جديدة للحماية: صدور التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة بشأن أسرى الحرب 44

معاملة أسرى الحرب من منظور إسلامي..... أحمد الداودي 47

الممرضة وحيدة غلاييني: لسنا ملائكة رحمة لكننا صوت من لا صوت لهم ..... حاورتها: لين حماصني 50

بلا رتوش: في لبنان: الحرب انتهت، لكن الحياة لم تبدأ بعد ..... هنادي سلمان 52

عصافير زرقاء لـ إنجي جرُّوج: قصَّة تتناول خبرة الحرب واللجوء من منظور الأطفال 54

أركان العالم 55

إصدارات 58

لقمة الخبز تعني الكثير:

العنف في تيغراي

وأبعاد أزمة إنسانية مروعة في إثيوبيا

ICRC

في الطريق من العاصمة الإقليمية ميكيلي إلى مدينة أكسوم القديمة، يمكنك أن ترى بأم عينك ما خلفه القتال من ندوب: مبانٍ بها آثار أعيرة نارية، وهياكل مركبات عسكريةً محترقة على جانب الطريق، ومواقع بناء لم يكتمل العمل بها، وصفوف طويلة من المحلات التجارية المقفلة. ...

تحولت المدارس في أكسوم إلى ملاجئ مؤقتة للأشخاص الذين فروا من منازلهم، حيث تعني كل حبة طعام وكل قطرة مياه الكثير، وتفترش عشرات العائلات الأرض في الفصول الدراسية جنبًا إلى جنب وسط التهديد المتزايد الذي تفرضه جائحة كوفيد-19. ولم يروعهم العنف الذي دفعهم إلى الخروج من ديارهم فحسب، بل عدم اليقين بشأن ما يخبئه لهم المستقبل.

وتسبب النزاع المسلح، الذي اندلع في إقليم تيغراي في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 2020 في خسائر بشرية هائلة وبأزمة إنسانية مروعة. وتشير التقديرات إلى أن النزاع أودى بحياة الآلاف ودفع مئات الآلاف إلى حافة المجاعة، علاوة على تشريد أكثر من مليون شخص بسبب أعمال العنف، وجدوا ملاذًا في المنطقة الجبلية التي يعيش فيها ما يربو على خمسة ملايين شخص، أو استمر بهم المسير حتى وصلوا إلى السودان المجاور.

ويقول برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة إن 5,2 مليون شخص، أو 91 في المائة من سكان تيغراي، يحتاجون إلى مساعدات غذائية طارئة. وتقدر الأمم المتحدة، أن أكثر من 400 ألف شخص «باتوا يعانون مجاعة».

وفي تموز/ يوليو، صرح راميش رجاسينغام، مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، خلال أول اجتماع عام لمجلس الأمن الدولي حول تيغراي منذ بدء النزاع قبل ثمانية أشهر أن الوضع «تدهور تدهورًا ملحوظًا».

وأضاف «نقدر أن أكثر من 400 ألف شخص باتوا يعانون مجاعة وأن 1,8 مليون آخرين هم على عتبة المجاعة. البعض يقول إن الأعداد أكبر بعد. ويعاني 33 ألف طفل سوء التغذية الحاد».

حلقات من العنف

والتصعيد الأخير في تيغراي حلقة من حلقات العنف المتكررة التي اندلعت في أنحاء البلاد في السنوات الأخيرة وزادت حدتها في الأشهر الماضية. ونتيجة لذلك، لا يزال السكان المدنيون يتعرضون للعنف ويجبرون على النزوح في أجزاء مختلفة من إثيوبيا. ويمثل الوصول إلى الخدمات الأساسية، بما في ذلك الصحة والمياه تحديًا كبيرًا. وتقول الأمم المتحدة إن خطورة العنف بين الطوائف العرقية وأحداث العنف الطائفي قد تستمر في التصاعد.

وتشكل التقارير المتعددة عن العنف ضد المدنيين، ولا سيما العنف الجنسي، والنهب وتدمير الممتلكات الخاصة، والازدراء التام للبعثة الطبية الشواغل الإنسانية الرئيسة.

ويواصل السكان المدنيون الفرار من ديارهم بحثًا عن الأمان. ويصل يوميًّا نازحون جدد إلى المدن الرئيسة، حيث يقيمون مع المجتمعات المضيفة أو في أماكن إقامة مؤقتة، مثل المدارس.

وفي شهر نيسان/ أبريل الماضي، نقل دومينيك شتيلهارت، مدير عمليات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، صورة قاتمة للوضع الإنساني بعد زيارة لمخيمات النازحين الفارين من جحيم القتال في تيغراي، وقال: «أشعر بقلق شديد إزاء القصص والتقارير المتعددة عن العنف في تيغراي، ولا سيما العنف الجنسي، والنهب وتدمير الممتلكات الخاصة، والاستهتار التام بالرعاية الصحية. ويتعين بذل كل ما يمكن لحماية المدنيين، ولا سيما الفئات الأكثر استضعافًا».

ويعيش النازحون في أماكن مزدحمة وسط التهديد المتزايد لجائحة كوفيد-19. وفر الكثير منهم من ديارهم ولا شيء معهم غير الملابس التي تستر أجسادهم، ويفتقرون إلى الضرورات الأساسية للحياة، ومن بينها الطعام والماء والمأوى والوصول إلى الخدمات الصحية.

وأعربت منظمة الصحة العالمية مرارًا عن قلقها لاحتمال حصول طفرات لأمراض الكوليرا والحصبة والحمى الصفراء والملاريا، علاوة على تزايد حالات الإصابة بكوفيد-19.

وسجلت أليونا سينينكو بعدستها ملامح المأساة الرهيبة التي يحياها النازحون. وذكرت أليونا، التي تعمل في بعثة اللجنة الدولية الإقليمية في شرق أفريقيا، أنه «جرى، في مدينة أكسوم التاريخية وسط تيغراي، تحويل العديد من المدارس إلى ملاجئ للأشخاص الذين أجبروا على ترك منازلهم: «هنا [في أماكن النزوح] كل غرام من الطعام، وكل قطرة ماء لها أهميتها. تفترش عشرات العائلات جنبًا إلى جنب الأرض، حيث يلوح خطر جائحة كوفيد-19 في الأفق».

وتقول تقارير إن المجتمعات المضيفة وقعت تحت ضغط هائل، إذ كان عليها أن تستوعب أعدادًا كبيرة من النازحين وكذلك توفير الاحتياجات الماسة لهم، لا سيما الرعاية الصحية للمصابين أو الناجيات من العنف الجنسي. وقد أدت الزيادة الحادة في عدد السكان إلى استنزاف الموارد المتاحة إلى أقصى حد وفرضت ضغوطًا على البنية التحتية العامة. فعلى سبيل المثال، تضاعف عدد السكان تقريبًا في بلدتي أكسوم وشاير في الأشهر الماضية. ومما زاد الوضع سوءًا، تزايد الآثار المدمرة التي خلفها العنف على الاقتصاد المحلي، إذ تعرضت العديد من الشركات والمصانع للنهب، ما كان له تأثير كبير على الوضع المعيشي للسكان.

صور الموضوع بعدسة **أليونا سينينكو** (المتحدثة الإقليمية باسم اللجنة الدولية في نيروبي)

ICRC

والوضع غاية في الصعوبة كذلك في المناطق الريفية التي تعتمد على الزراعة، إذ يعجز المزارعون عن الوصول إلى أراضيهم الزراعية. وتشير تقديرات اللجنة الدولية إلى انخفاض الإمدادات الغذائية في المناطق الريفية في تيغراي على نحوٍ خطير، بينما فقد الكثير من الناس متاجرهم وسبل عيشهم عندما فروا من منازلهم.

ولا تقتصر الأزمة على إثيوبيا، بل تنتقل إلى خارج حدودها أيضًا. فالآلاف يعبرون الحدود إلى السودان التماسًا للسلامة.

يقول ناغا شوكولي، 30 عامًا، مزارع من بلدة حُميرة الإثيوبية: «كان هذا هو موسم الحصاد، وكنت في حقل السرغوم الخاص بي عندما وصل الرجال. رأيت الذي أطلق النار علىَّ». وجدته زوجته يايش مصابًا وساعدته.

فرًّا معًا ومعهما ابنتهما هيرميلا ذات العامين في عربة صغيرة مع حميرهم وعبرا الحدود. ولدى وصولهما إلى السودان، قدم الهلال الأحمر السوداني الرعاية لناغا، ونُقل إلى مستشفى "الهشابة" ».

وحتى الآن، لم تُلبَّ الاحتياجات الإنسانية الهائلة. وحاولت اللجنة الدولية، بالتعاون الوثيق مع جمعية الصليب الأحمر الإثيوبي، تعزيز أنشطتها في تيغراي وفي أجزاء أخرى من البلاد، لمواصلة الاستجابة للاحتياجات الملحة للسكان المدنيين.

وتقول اللجنة الدولية إن تحسين إمكانية الحصول على الخدمات الصحية يمثل الآن الأولوية القصوى. وقد دعمت ستة مستشفيات لتمكينها من علاج المدنيين المصابين جراء العنف. وأصبح دعم مرافق الرعاية الصحية الأولية يحظى بأولوية أكبر الآن، إذ إن غالبية مراكز الرعاية الصحية الأولية في المنطقة لا تعمل.

وأحصت منظمة أطباء بلا حدود، وهي منظمة طبية إنسانية تتخذ من باريس مقرًّا لها، عدد المرافق الصحية التي تعرضت للضرر نتيجة للنزاع وتوصلت إلى أنه من أصل 106 مرافق تم تقييمها في الفترة الممتدة من منتصف كانون الأول/ ديسمبر إلى أوائل آذار/ مارس، كان 87 في المائة منها لا يعمل بتاتًا أو يعمل بشكل جزئي.

وضع مروع للنساء

مع بدء وصول الناجين إلى المرافق الصحية، ظهرت تقارير مروعة عن العنف الجنسي في تيغراي. وما زاد الطين بلة، أن العديد من المرافق الصحية في المنطقة، ولا سيما في المناطق الريفية، لم تعد تعمل لتعرضها للنهب والتدمير، في حين يعوق الوضع الأمني المتقلب الوصول إلى المراكز الصحية القليلة العاملة. علاوة على ذلك، تعاني المراكز الصحية القليلة التي تعمل من غياب نسبة كبيرة من العاملين في المجال الطبي الذين لا يشعرون بالأمان لاستئناف أنشطتهم.

وفي تموز/ يوليو، لقي ثلاثة من موظفي الفرع الإسباني لمنظمة أطباء بلا حدود حتفهم في تيغراي فيما كانوا يحاولون تقديم العون الطبي للسكان المدنيين.

ونتيجة للوضع الأمني والصحي المتردي، لا تستطيع كثير من الناجيات الوصول إلى الخدمات الصحية. ولا تتوفر خدمات الصحة النفسية – التي تشكل أهمية بالغة في عملية تعافيهم – خارج ميكيلي، العاصمة الإقليمية، ومدينة شاير.

وتحاول اللجنة الدولية جاهدة تكثيف استجابتها الإنسانية في المنطقة، لا سيما في دعم الخدمات المقدمة للناجين من العنف الجنسي التي تمثل أكثر الأولويات إلحاحًا. ولا يلحق العنف الجنسي إصابات جسدية وصدمات نفسية عميقة فحسب، بل يكون لها تأثير طويل الأمد على عائلات ومجتمعات بأسرها. ويحتاج الناس في كثيرٍ من الأحيان، إلى جانب المساعدة الطبية والنفسية، إلى مساعدة اقتصادية لمكافحة الوصم واستعادة حياتهم ■

بعد عشر سنوات من الاستقلال

جنوب السودان لا يزال يعاني من آثار العنف

عانى شعب جنوب السودان من ويلات النزاع والعنف المسلح خلال معظم فترات العقد الأول من نشأة تلك الدولة الوليدة. وما يؤكد مدى تفشي العنف تقديم اللجنة الدولية للصليب الأحمر رعاية جراحية لأكثر من تسعة آلاف من جرحى الأسلحة منذ تأسيس أحدث دولة في العالم في تموز/يوليو 2011. وشكل النساء والأطفال ما يقرب من ربع المرضى الذين عالجتهم اللجنة الدولية في عام 2020.

ولا يجسد نظام الرعاية الصحية الهش الذي لم يزده العنف إلا ضعفًا أو تدميرًا سوى واحدة من العواقب المأساوية للأزمة الممتدة في جنوب السودان. كما يمثل نقص الطعام وحالات النزوح طويلة الأمد والمتكررة وفقدان الأحباء أو الانفصال عنهم بعضًا من الواقع المحزن الذي لا يزال يواجهه الناس.

ويحتاج جرحى الأسلحة في كثيرٍ من الأحيان إلى علاج معقد وطويل الأمد يتجاوز مجرد تقديم علاج جراحي فوري. وفي هذا السياق، قالت السيدة آنا لوسيا بوينو، التي تشرف على البرامج الصحية للجنة الدولية في جنوب السودان: «يحتاج هؤلاء المرضى إلى إعادة تأهيل جسدي لاستعادة قدرتهم على الحركة. كما يحتاجون أيضًا إلى دعم الصحة النفسية شأنهم شأن العديد من ضحايا النزاع والعنف. لكن الحقيقة المحزنة تتمثل في عدم حصول غالبية سكان جنوب السودان على مجرد الخدمات الصحية الأساسية، ناهيك عن الرعاية المتخصصة».

ويموت الناس في المناطق النائية من جنوب السودان، بسبب أمراض يمكن الوقاية منها وعلاجها، حيث لا يزال الوصول إلى الرعاية الصحية الأولية صعبًا.

وقال أحد الزعماء المحليين في ولاية غرب الاستوائية، حيث نزحت عائلات بسبب النزاع الدائر: «ليس لدينا مستشفيات هنا. لقد فقدنا طفلةً في هذا المنزل المجاور لنا. لقد ألَمَّ بها مرض شديد وتوفيت في الأدغال وهي في الطريق أثناء نقلها إلى أقرب مستشفى».

ووفقًا لبيانات البنك الدولي، يموت تسعة في المائة من الأطفال في جنوب السودان قبل أن يبلغوا سن الخامسة. ويتعين على العديد من الأشخاص السير لساعات طويلة، وأحيانًا لأيام، للوصول إلى أقرب ممارسي الرعاية الصحية، إذ تشير التقديرات إلى أن 40 في المائة فقط من مراكز الرعاية الصحية في جنوب السودان لا تزال تعمل. وتشكل الهجمات على الكوادر الطبية والمرافق الطبية، وكذلك العدد المحدود من العاملين في مجال الرعاية الصحية بعض العوامل التي ساهمت في هذا الوضع المأساوي. وقدمت اللجنة الدولية خلال السنوات العشر الماضية ما يقرب من 1.5 مليون استشارة في مراكز الرعاية الصحية الأولية التي تدعمها.

نزح حوالي واحد من كل ثلاثة أشخاص في جنوب السودان من منازلهم، بينما فقد كثير منهم سبل كسب عيشهم وقدرتهم على إعالة أسرهم. ووزعت اللجنة الدولية بالتعاون مع الصليب الأحمر في جنوب السودان، على مدى العقد الماضي، مواد غذائية على أكثر من 3.3 مليون شخص، ولقحت أكثر من 5.2 مليون رأس من الماشية، ووزعت البذور والأدوات الزراعية على أكثر من 3 ملايين شخص لمساعدة العائلات على التأقلم وإعادة بناء سبل كسب العيش. كما وفرت 130 ألف مكالمة هاتفية إلى الأشخاص المنفصلين عن عائلاتهم، وسجلت أكثر من 6,000 شخص مفقود وساعدت في الكشف عن مكان وجود ما يقرب من 3,000 شخص في عداد المفقودين.

وقال السيد جوليان ليريسون، رئيس بعثة اللجنة الدولية في جنوب السودان: «تجعل الصدمات المناخية وجائحة كوفيد-19 الأمر أكثر صعوبة على المجتمعات التي عانت معاناة هائلة لاستعادة كرامتها وإعالة نفسها. ويلزم ترسيخ الخطوات صوب إحلال السلام إلى الاستقرار والأمن على المدى الطويل للعائلات التي دمرها النزاع والعنف المسلح حتى تتمكن من رسم مستقبلها»■

REUTERS

AFP

الملفّ

عشرية جديدة للحروب العربية

REUTERS

ربما تمثل السنوات العشر الأخيرة العقد الأكثر قسوة في تاريخ العرب الحديث. فقبل هذا العقد، عانى العرب من مشهد إنساني متأزم، لكنه كان محصورًا في نطاق بضع دول. لكن، في العقد الأخير، انقلب المشهد رأسًا على عقب: اتسع نطاق الأزمة الإنسانية جغرافيًّا بسبب نزاعات مسلحة طالت دولًا عُرفت قديمًا باستقرارها، كما تنوعت أشكال المعاناة، فأدت الحروب إلى قتل مئات الآلاف، وإصابة ملايين، وتشريد شعوب بأكملها ما بين لجوء ونزوح. وجدت شعوب نفسها في دوامة من المعاناة المُهلكة في ظل انتهاك متكرر للقانون الدولي الإنساني. في هذا الملف، إطلالة على ما فعلته الموجة الأخيرة من الحرب في العالم العربي.

أماني سليمان*

الحصاد المر: تكلفة إنسانية ضخمة لعشرية الحروب العربية

شهد العقد الماضي عنفًا أهليًّا وقتالًا داميًا في العديد من أقطار الشرق الأوسط العربية، إذ اندلعت نزاعات مسلحة في كل من سورية واليمن وليبيا، لتشهد الدول الثلاث مقتل الآلاف وإصابة ونزوح الملايين من سكانها. وأثرت النزاعات العسكرية في هذه الأقطار في دول أخرى بالشرق الأوسط؛ تراوح بين تأثير مباشر سياسي واقتصادي نتيجة الجوار والحدود المشتركة لدول الصراع كما هي الحال في لبنان والأردن والعراق، ودول ثالثة شهدت تغييرات سياسية عاصفة أدت إلى مواجهات محدودة وأعمال عنف مسلح ممتد تعلو وتخفت وتيرته عبر عقد كامل، كما هي الحال في مصر وتونس، وإما دول رابعة تأثرت بموجة التغيير بشكل عام، وبالرغبة في تحقيق الحراك السياسي والاجتماعي، لتشهد بدورها عنفًا محدودًا للغاية، لكنه مؤثر ومصاحب لتغييرات محلية كبرى. وغني عن البيان أن الأحوال العامة في الشرق الأوسط لم تكن هادئة أو مستقرة منذ عقود طويلة، فأتت رياح التغيير السياسي – على تباين شدتها – لتضيف مزيدًا من التحديات والأعباء على كاهل شعوب المنطقة، بدرجات متفاوتة.

REUTERS

الأحوال العامة في الشرق الأوسط لم تكن هادئة أو مستقرة منذ عقود طويلة، فأتت رياح التغيير لتضيف مزيدًا من التحديات والأعباء على كاهل شعوب المنطقة، بدرجات متفاوتة

* باحث زميل بكلية الدراسات الدولية جامعة صون يات–سن في الصين

حصاد مر

حصدت عشر سنوات من العنف في الدول العربية أرواح مئات الآلاف من البشر، فعقب خمس سنوات من اندلاع الحرب الأهلية في سورية، قدر ستفان دي مستورا – مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية لسوريا – أعداد القتلى بنحو أربعمائة ألف قتيل، إلا أن المفوضية السامية لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة أعلنت أنها قد توقفت عن حصر أعداد القتلى في سوريا، وذلك في مطلع عام 2014 نظرًا لصعوبة الأمر وعدم قدرة مراقبيها على حصر الأعداد في مناطق القتال بسوريا. وتقول تقديرات غير رسمية إن نحو نصف مليون شخص قد فقدوا حياتهم بسبب القتال.

أما في اليمن التي بدأت تشهد اضطرابات عنيفة منذ العام 2011، تصاعدت إلى اندلاع حرب أهلية في عام 2015، فقد قدر مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية عدد القتلى – حتى كانون الأول/ ديسمبر 2020 - بأنه يتجاوز ربع المليون قتيل، أكثر من نصفهم فقدوا حياتهم بسبب نقص الغذاء والعلاج. هذا إضافة إلى أكثر من أربعة وعشرين مليون شخص – يمثلون ثمانين بالمائة من إجمالي سكان البلاد – بحاجة ماسة إلى مساعدات إنسانية عاجلة، فيما وصفته الأمم المتحدة بأقسى أزمة إنسانية يشهدها العالم على مدى الست سنوات المنصرمة.

وفي دول عربية أخرى، هناك آلاف ممن قضوا نحبهم. فقد هؤلاء حيواتهم جراء الأعمال القتالية، تحت قصف المدن، وبسبب نقص الغذاء والدواء. ظل نزيف الدم يؤرق الجميع، ويطرح تلك الأسئلة المؤلمة عن هذه التكلفة البشرية المهولة.

الحلقة الأضعف

خلال عشرية الحروب والاضطرابات العربية، مثل النساء والأطفال كالمعتاد الحلقة الأضعف بين الضحايا على اختلاف أجناسهم وأعمارهم، وأصبح خطف النساء وتعرضهن للعنف البدني والجنسي مباراة لكسر طرف ضد طرف في دول عدة. كما تعرضت النساء الناشطات بشكل عام لموجات من التخويف والتهديد والتحرش البدني والتعدي الجسدي لإرغامهن على الابتعاد عن المشهد السياسي، بحيث أصبحت ممارسات العنف الجنسي، أو حتى التلويح والتهديد بها وسيلة متكررة لإبعاد النساء عن ممارسة الأنشطة السياسية، أو حتى التعبير عن آرائهن في المجال العام في سياق التظاهرات والتجمعات سواء الشعبية أو النخبوية. وأصبح الخوف من امتهان النساء سببًا في منع الأسر العربية واعتراضها على مشاركة بناتها ونسائها في الحراك السياسي خوفًا من الانتهاكات التي قد يتعرضن لها كعقاب على نشاطهن السياسي.

كما وجدت الأمهات أنفسهن يصارعن الموت والدمار، ويدافعن عن أنفسهن وعن أطفالهن في سجون ومعتقلات الأطراف المتحاربة وتحت قصف الطائرات الحربية، وفي معسكرات اللجوء، أو ضد أمواج البحر المتوسط العاتية، على متن زوارق متهالكة تسعى للوصول إلى ملاذ آمن في أوروبا، ضمن تصور يائس لطريق النجاة اضطر له النساء والرجال على حد سواء في ظل ظروف شديدة القسوة والعنف والعوز عايشها هؤلاء اللاجئون في أوطانهم الأصلية، دون أي أمل في مستقبل أفضل قريبًا كان أم بعيدًا. والحق إن المرء ليتساءل عن الحالة الصحية، والنفسية، والعقلية، والتعليمية لطفل ولد في سجن أو معتقل أو مخيم لجوء وقد قارب عمره اليوم عامه العاشر دون أمل في غد أفضل.

وشهدت أحداث الحروب العربية وتبعاتها استهداف مئات الآلاف من المدنيين وفقًا لهويتهم العرقية أو الدينية أو الطائفية، فتعرضت طوائف لعمليات تهجير قسري وتدمير دور العبادة والرموز الثقافية، وتعرضت النساء لجرائم حرب مروعة ممثلة في أعمال العنف الجنسي ضدهن. لقد وجدت أطراف محاربة في الطائفية ورقة رابحة ليس فقط لتحقيق أهدافها، ولكن أيضًا لوصم الخصم وتشويهه في ظل ترويع المدنيين الذين طالهم نصيب أكبر من الأذى بفعل انتمائهم ●●●

تعرضت النساء الناشطات لموجات من التخويف والتهديد لإرغامهن على الابتعاد عن المشهد السياسي

REUTERS

REUTERS

تظل الأسئلة المطروحة حول وجوب إغاثة اللاجئ في مقابل تقنين طموح المهاجر تخيم على معسكرات اللجوء إلى أوروبا

لأقليات كان قدرها أن تطحن بين مطرقة فصيل وسندان فصيل آخر.

الفرار من الموت

شهد شرق البحر المتوسط موجة اللجوء الأكبر في العصر الحديث وبعد مرور مائة عام على أزمة مشابهة إبان الحرب العالمية الأولى؛ عندما طرق أبواب أوروبا مئات الآلاف من اللاجئين السوريين وأبناء القرن الأفريقي وغيرهم ممن ظنوا أن معسكرات اللجوء على أطراف أوروبا في تركيا واليونان والبلقان أفضل لهم من البقاء تحت رحمة الأطراف المتقاتلة في بلادهم. ويقدر عدد النازحين داخل سوريا وحدها منذ العام 2013 بنحو ستة ملايين شخص ويماثلهم العدد نفسه ممن فروا إلى خارجها. ولم تقع تبعات فرار المدنيين السوريين على اللاجئين وحدهم، حيث تواجه دول عربية مثل لبنان والأردن عبء تقديم الدعم لمئات الآلاف من اللاجئين الذين هم بحاجة إلى الإعاشة والغذاء والعلاج والتعليم والخدمات المختلفة. ولا يخفى أن الدول المستقبلة المذكورة نفسها لديها من التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ما تئن بسببه، فإذا باختبار إنساني وأخلاقي شديد الحساسية يضاف إلى كاهلها المنهك أصلًا.

وتظل الأسئلة المطروحة حول وجوب إغاثة اللاجئ في مقابل تقنين طموح المهاجر تخيم على معسكرات اللجوء إلى أوروبا والعالم الغربي بشكل عام، لتلقي التشكك والاتهامات على الفارين باتجاه الشمال، لتصفهم بأنهم منتهزو فرص، بينما يصرون هم على كونهم لاجئين يفرون بحياتهم وأبنائهم من أتون الصراعات في بلادهم. مما جعل موجات اللجوء تلك سببًا ومبررًا لإعادة النظر في تعريفات اللجوء الإنساني والسياسي، وكذلك في قوانين اللجوء ومشروعية الهجرة.

آلام الأرواح والأجساد

تسبب العنف المستمر في دول الحروب العربية بمختلف درجاته في الإعاقة البدنية والنفسية والعقلية للآلاف من البشر في منطقة تعد معدلات الإعاقة بين سكانها ضمن الأعلى عالميًا. وأصبح الكثير من سكان هذه الدول المضطربة متعايشين مع إعاقاتهم دون أمل قريب في إعادة التأهيل أو حتى تمكينهم من التعليم أو التوظيف أو حتى العلاج في ظل ظروف أمنية واقتصادية وصحية متردية. وأتت تلك الإعاقات البدنية والعقلية لتزيد الحياة صعوبة سواء في ظل مدن وقرى مهدمة أو في معسكرات اللاجئين التي لا تمتلك تجهيزات أو خبرات لإدماج أو تمكين ذوي الإعاقة باختلاف احتياجاتهم البدنية والنفسية والعقلية.

أتى وباء كوفيد-19 في العام 2020 ليضيف تحديات صحية مرعبة للملايين ممن يعيشون في قرى ومدن تكافح للوصول إلى الماء النظيف أو تنتظر جهود الإغاثة والقوافل الطبية الزائرة لترى طبيبًا كل بضعة أسابيع وربما أكثر. وأصبح الخوف من القاتل المجهول عبئًا جديدًا مضافًا لحياة تلك الشعوب المتعبة التي تعاني الفقر والنزوح والعنف وضعف الخدمات الصحية ونقص الغذاء والدواء. حتى إن الشعوب التي تعاني تلك الأزمات الطاحنة أصبحت تتجاهل الفيروس في حياتها اليومية، ربما لشعورهم بأن لديهم ما يكفي من التحديات الملموسة والمرئية دون ذلك القاتل الغامض الذي يمكن تجاهله ولو إلى حين.

أضيفت الفيروسات القاتلة إلى قائمة التهديدات التي تجعل حياة العديدين من سكان المنطقة جحيمًا، دون أمل في لقاح أو علاج أو حتى سبل وقاية تقلل احتمالات الإصابة بالمرض.

تراث محاصر

ولم تقتصر تكلفة الحروب العربية على حاضر ومستقبل شعوب المنطقة فقط، وإنما طالت ماضيهم وتاريخهم، فلم تسلم المواقع الأثرية وعيون التراث العالمي في الدول العربية من تبعات موجات العنف المستمرة منذ عقد كامل من الزمن. وتمتد المأساة من صنعاء وتعز اليمنيتين حتى الموصل العراقية وكذلك حلب وتدمر السوريتين؛ إذ طالها جميعًا التخريب عمدًا وإهمالًا على حد سواء. وحتى في المواقع التي شهدت عنفًا بصورة أقل، نجد أن المتحف المصري والمجمع العلمي بالقاهرة، وكذلك متحف ملوي بصعيد مصر قد وقع في أيدي المخربين أحيانًا وتحت أيدي اللصوص في أحيان أخرى، كما تأثرت وتضررت بعض المتاحف والمواقع الأثرية بفعل أحداث عنف ومنها متحف باردو بتونس ومتحف الفن الإسلامي بمصر. هذا بالإضافة إلى أن الانفلات الأمني قد مكن لصوص ومهربي الآثار من التنقيب والإتجار والتهريب، في ظل غياب أو انشغال الأمن بالأوضاع المحلية المضطربة حتى وجدنا التراث الإنساني من القطع الأثرية الثمينة والنادرة معروضًا للبيع على صفحات التواصل الاجتماعي، ومواقع التسوق الإلكتروني، دون خجل أو اكتراث لا للقانون، ولا للمعايير الأخلاقية، ولا حتى للملكية الفكرية والتراثية لشعوب الشرق الأوسط ■

الهوامش

Syria death toll: UN envoy estimates 400,000 killed, Aljazeera English, 23/4/2016, https://www.aljazeera.com/news/2016/4/23/syria-death-toll-un-envoy-estimates-400000-killed, accessed 10/4/2021

الأمم المتحدة تعلق إحصاء القتلى بسوريا، موقع الجزيرة نت، 8/1/2014، https://bit.ly/3xKdl3H

UN humanitarian office puts Yemen war dead at 233,000, mostly from 'indirect causes', UN News: Global perspectives-human stories, 1/12/2021, https://news.un.org/en/story/2020/12/1078972 , accssed 8/4/2021

No time to waste, as Yemen inches towards famine: UN Children's Fund, UN News: Global perspectives-human stories, 23/11/2020, https://news.un.org/en/story/2020/11/1078312 , accessed 2/5/2021

مي عجلان، الصحة جسرًا للسلام: مكافحة الوباء مدخلًا محتملًا لحل النزاع، مجلة الإنساني، العدد 67 خريف/شتاء 2020، ص 13-14.

نور أبو فراج، كورونا في سوريا: شبح يراه الأطباء فقط، مجلة الإنساني، العدد 67 خريف/شتاء 2020، ص- ص 20:22.

سورية: عشر سنوات ومشهد إنساني بالغ القتامة

ICRC

تتذكر شابة سورية في مقتبل العمر تدعى إيمان كيف كانت تتابع الأخبار منذ عشر سنوات سائلة أباها عما يمكن أن يحدث إذا اختبرت سورية عنفًا كذلك الذي تبثه القنوات عن أخبار المنطقة. أخبرها والدها أن كل شيء سيتغير ساعتها. وبالفعل دخلت سورية دوامة أزمة عنف مسلح، وتغير كل شيء.

دخلت سورية العقد الثاني في ظل أزمة طاحنة لا تزال مستمرة بلا هوادة. ففي شهر آذار/مارس الماضي، أتم السوريون عقدًا من نزاع مسلح لم تختبره البلاد في تاريخها الحديث، نزاع وحشي مثير للفزع بالنسبة للمدنيين، حمل معه ألمًا مقيمًا، إذ أزهقت أرواح، وانقلب حال الناس في مناطق البلاد كافة.

وخلال ذلك العقد، شهدت سورية مشهدًا إنسانيًا بالغ القتامة، إذ أدى القتال إلى إزهاق آلاف الأرواح، وتدمير واسع النطاق للمدن والبنية التحتية، وموجات هائلة من النزوح الداخلي وأزمة لاجئين تردد صداها في جميع أنحاء العالم، علاوة على تمزق الروابط الأسرية، ودوامة تدهور اقتصادي وتقطع سبل العيش، واستخفاف بقوانين النزاعات المسلحة على نحو صادم.

وتقول اللجنة الدولية إن ثمة احتياجات إنسانية هائلة في جميع أنحاء البلاد وتتزايد بوتيرة تهدد بتجاوز القدرات الحالية للاستجابة، والتي تفاقمت بسبب أسوأ أزمة اقتصادية منذ اندلاع النزاع والعقوبات وتفشي جائحة كوفيد-19 عالميًا.

ويعيش السوريون في خضم دوامة مُميتة من الحرب والانكماش الاقتصادي والجائحة والعقوبات. وهوى ملايين الأشخاص في مستويات أعمق من هوة الفقر بفعل الأزمة الاقتصادية الأسوأ منذ بداية النزاع، والتي تفاقمت بسبب تأثير العقوبات وجائحة كوفيد-19 العالمية.

وأضحى أكثر من 13 مليون شخص، من

أصل 18 مليون نسمة حاليًّا، في حاجة ماسة إلى مساعدات إنسانية.

ووفقًا لتقديرات برنامج الأغذية العالمي ارتفع عدد السوريين ممن يعانون من انعدام الأمن الغذائي. فنصف الشعب السوري تقريبًا، أكثر من 12 مليونًا، باتوا غير قادرين على الحصول على ما يكفي من الغذاء أو تحمل تكاليفه. «اليوم، يكافح الآباء أكثر من أي وقت مضى لإطعام أطفالهم. بعدما أصبح سعر المواد الغذائية الأساسية الآن أعلى بـ 29 مرة من متوسط أسعارها قبل الأزمة»، حسبما يقول البرنامج.

ولا يستطيع العاملون في المجال الإنساني وحدهم معالجة الضرر الدائم الذي وقع ولا ينبغي أن يُتوقع منهم سد الفجوات العميقة التي فشلت في حلها الجهود السياسية والدبلوماسية.

ليست مجرد أزمة إنسانية

يدفع المدنيون خسائر لا تُحصى في هذا النزاع الوحشي الذي طال أمده. ومع دخول الأزمة في سورية عقدها الثاني، سلطت دراسة استقصائية، أجرتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الضوءَ على التكاليف الفادحة التي تكبدها الشباب السوري.

شارك في الدراسة الاستقصائية 1400 سوري في الفئة العمرية من 18 إلى 25 عامًا في سورية ولبنان وألمانيا. وفي البلدان الثلاثة جميعًا، تحدث الشباب عن أسر تمزق شملها وصداقات انفصمت عراها، وصعوبات اقتصادية هائلة وقلق كبير، وطموحات آلت إلى الإحباط، وإنجازات ضائعة، وأعباء نفسية عميقة نتيجة لسنوات من العنف والاضطراب المتواصلين بلا هوادة.

وفي بلد يشكل فيه الأشخاص دون الخامسة والعشرين أكثر من نصف تعداد السكان، تقدم الدراسة الاستقصائية لمحة عن المعاناة التي كابدها الملايين خلال السنوات العشر الماضية. فقد ذكر واحد من كل اثنين من الشباب (47 في المائة) أن أحد أفراد العائلة المقربين أو الأصدقاء لقي حتفه في النزاع. وقال واحد من كل ستة شبان سوريين إن أحد والديه، على الأقل، قد قُتل أو أصيب إصابة خطيرة (16 في المائة). أما من أصيبوا في النزاع من المشاركين أنفسهم فكانت نسبتهم 12 في المائة.

وفقد 54 في المائة من المشاركين الاتصال بأحد أفراد العائلة المقربين. وترتفع هذه النسبة في لبنان إلى نحو سبعة من كل عشرة أشخاص. أما تأثير النزاع على الصحة النفسية، فهو واضح أيضًا. ففي الاثني عشر شهرًا الماضية، عانى الشباب في سورية من اضطرابات النوم (54 في المائة) والقلق (73 في المائة) والاكتئاب (58 في المائة) والشعور بالعزلة (46 في المائة) والإحباط (62 في المائة) والحزن (69 في المائة) بسبب النزاع.

ذهب عشرات الآلاف من الأشخاص في عداد المفقودين بسبب النزاع الدامي وامتداداته إلى كامل جغرافية سورية. وتنتظر أعداد كبيرة من الأسر بفارغ الصبر أي أخبار عن أحبائها

ICRC

البحث عن المفقودين

تشكل قضية المفقودين في سورية قضية إنسانية كبرى شديدة الأهمية. ذهب عشرات الآلاف من الأشخاص في عداد المفقودين بسبب النزاع الدامي وامتداداته إلى كامل جغرافية سورية. وتنتظر أعداد كبيرة من الأسر بفارغ الصبر أي أخبار عن أحبائها. نعلم من خلال خبرة اللجنة الدولية، أن حالات الاختفاء التي لم تصل إلى نتيجة تؤدي إلى آثار ضارة وطويلة الأمد على الأفراد والعائلات والمجتمعات بأسرها.

وعلى الرغم من أن عدد المفقودين الدقيق غير معروف تمامًا، إلا أن مكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان يشير إلى أن هناك ما لا يقل عن عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال قد تعرضوا للاختفاء.

ولدى العديد من أسر المفقودين معلومات تشير إلى أن أحباءها قُتِلوا، ولكنَّ آلافًا آخرين لا يزالون عالقين في حيرة من أمرهم، ويعيشون في خوف وشكٍّ وعدم يقين، ولا يعرفون ما إذا كان أقاربهم سيعودون إليهم يومًا، حسبما يقول مكتب المفوضية.

وفي آذار/ مارس الماضي، قال بيتر ماورير، رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، إن توضيح مصير عشرات الآلاف من المفقودين وتحديد هوية الجثث «هي شروط مُسبقة ضرورية لأي محادثات جادة من أجل إنهاء الحرب».

أزمة حماية معقدة

وفي الشمال الشرقي من البلاد، تفاقمت واحدة من أعقد الأزمات المتعلقة بحماية الطفل في عالم اليوم.

ففي هذا الجزء من البلد، هناك عشرات الآلاف من الأطفال الذين تقطعت بهم السبل في المخيمات ويواجهون ظروفًا مروعة لا ينبغي لأي طفل أن يعيشها. ويوضع مئات الأطفال– ومعظمهم من الفتيان الذين لا تتجاوز أعمار بعضهم 12 عامًا– قيد الاحتجاز في سجون مخصصة للبالغين، وهي أماكن أقل ما يقال عنها إنها غير مناسبة لهم. وهؤلاء الأطفال من سورية والعراق ومن عشرات البلدان الأخرى. وبعضهم موجود مع أفراد عائلته والبعض الآخر أصبح يتيمًا أو تفرق عن أحبابه.

وتؤكد اللجنة الدولية أنه يجب على الجميع معاملتهم جميعًا كضحايا في المقام الأول.

وفي أواخر حزيران/يونيو، وصف فابريزيو كاربوني، المدير الإقليمي لمنطقة الشرق الأدنى والشرق الأوسط باللجنة الدولية، زيارته لمخيم الهول بأنه «تجربة مروعة للغاية».

وقال: «كانت آخر زيارة لي هناك في شهر آذار/مارس، وهي الزيارة الرابعة في غضون سنوات عديدة. رأيت وضعًا أسوأ بكثير من ذي قبل».

ومخيم الهول موجود منذ التسعينيات وأصبح آنذاك موطنًا لنحو عشرة آلاف عراقي بعد حرب الخليج. وبعضهم لا يزال هناك.

ومخيم الهول ما هو إلا صحراء وخيام تمتد على مرمى البصر. والآن، يؤوي المخيم نحو 60 ألف شخص من أكثر من 60 بلدًا، معظمهم من العراق وسورية، فيما تشكل النساء والأطفال نسبة 90 في المائة. وتشير التقديرات إلى أن هناك حوالي 40 ألف طفل ينشأون في هذه الظروف البائسة والخطيرة.

ويسود شعور باليأس بين آلاف الأشخاص العالقين هناك، وجميعهم يتطلع إلى أمل في المستقبل.

في أواخر حزيران/ يونيو، وصف فابريزيو كاربوني، المدير الإقليمي لمنطقة الشرق الأدنى والشرق الأوسط باللجنة الدولية، زيارته لمخيم الهول بأنه «تجربة مروعة للغاية"

REUTERS

ويصف كاربوني حال المخيم قبل عامين: «أول زيارة لي كانت في عام 2019 عندما بدأ الأشخاص الفارون من القتال العنيف في الباغوز في الوصول إلى المخيم. كانت المعاناة مروعة. فقد وصل إلى المخيم آلاف النساء والأطفال، يعلوهم الغبار ويعانون من الجوع والبرد والصدمة، بعد أن قطع الكثير منهم مئات الكيلومترات. كان هناك أشخاص مصابون بجروح جديدة من جراء الأسلحة المتفجرة، والعديد من الأشخاص الذين بُترت أطرافهم وأشخاص مصابون بجروح من الواضح أنها لم تخضع لأي علاج منذ شهور. وفي تلك الأسابيع الأولى، كان نحو نصف المرضى الذين خضعوا للعلاج في مستشفانا الميداني من الأطفال. ولقي الكثير منهم حتفهم متأثرين بجراحهم المروعة فور وصولهم إلى المخيم. أما من بقي منهم على قيد الحياة، فلا يزال معظمهم قابعًا هناك بعد مرور ثلاث سنوات».

وتقدم اللجنة الدولية خارطة عمل إزاء هذه المعاناة الإنسانية، لا سيما أن إنهاءها ليس ضربًا من المستحيل. ويوفر القانون الدولي إطارًا للمساعدة في حل هذه المشكلة. ويمكن للدول أن تستفيد من بعضها البعض. ويمكن، بل وينبغي، تبادل المعلومات بشأن الممارسات الجيدة.

وهناك أمثلة إيجابية بالفعل على عمليات الإعادة إلى الوطن. فهناك دول أعادت أمهات وأطفالًا إلى أرض الوطن، وحافظت على الروابط بين أفراد الأسر كما يقتضي القانون الدولي. وهناك دول تبذل جهودًا لتوخي المعاملة الإنسانية عند محاكمة الأشخاص أو إعادة إدماجهم في مجتمعاتهم ومتابعة حالاتهم ■

لعبة الحياة

ناهد هاشم*

تجلس أمل لتحتسي الشاي وتمسك بالورق والقلم علَّها تستطيع أن تكتب ما تشعر به، وهي تسمع بين الحين والآخر إطلاق النار في الحي الذي تقطن فيه.

تغمض عينيها محاولة استرجاع شريط الذاكرة وأهم الصور التي علقت في مخيلتها. تتذكر كيف رأت ابنة جيرانهم تجلس على حصيرة أمام منزلهم وسط البرد القارس لتدرس، إذ لا كهرباء في بيتهم الذي يقع في الطابق السفلي المعتم حتى في ضوء النهار. تتذكر صورة المرأة التي افترشت الشارع وهي تبيع أغراض بيتها. تتذكر طبيب الحي الذي أعلن عن استعداده لتعليم الطلاب مادة الرياضيات في وقت فراغه وكيف كان يعالج الناس على ضوء الشمعة، تتذكر دعوات الحاجة أم محمد لها حين تراها ذاهبة لعملها وتناديها بصوت يشبه صوت أمها: انتبهي على حالك يا بنتي.

تلح عليها مشاهد ومواقف كثيرة كأنها تشاهد فيلمًا تسجيليًّا.

تنظر في البخار المتصاعد من فنجان الشاي، تشعر أن البخار يصعد من القلم ومن الأوراق ومن داخلها أيضًا.

تمسك القلم باليد اليمنى فتشعر أن يدها ترتجف، ثم تمسك القلم باليد اليسرى، ولكنها أيضًا ترتجف. لقد درَّبت نفسها على الكتابة باليد اليسرى، فمن يعلم ماذا يمكن أن تفعل الحرب! هناك أناس فقدوا أطرافهم، كما أن فكرة تنمية مهارة كالكتابة باليد اليسرى على الرغم من كل هذا الألم الذي يحيط بها إنما هي شيء جميل وتحدٍّ بحد ذاته.

«لن أيأس»، كانت العبارة التي كتبتها باليد اليمنى وهي تكابر ألا ترتجف، ثم أمسكت القلم باليد اليسرى وأعادت كتابتها وكأنها أرادت أن تؤكد لنفسها أنها قادرة على الكتابة. لقد كانت الكتابة فعل انتصار داخلها على الخوف واليأس، وقرارًا بالصمود في وجه مرارة المشاهد التي عاشتها؛ وحده القلم لم يخذلها، هكذا كانت تقول دائمًا لنفسها.

راحت تكتب وبينما هي تكتب سمعت أصوات أطفال الحي.

هل هم يتشاجرون؟ راحت تسأل نفسها.

أصغت السمع فإذا بها تسمع الأطفال يرددون العبارات التي تقال حين يشيَّع الميت.

أحد الأطفال كان يقول: ترحموا عليه، ومن ثم يقول لطفل آخر: تظاهر أنك تحمل تابوتًا.

يا إلهي ماذا أسمع!

هل يمثلون مشهد الجنازة؟

شعرت أنها لا تستطيع البقاء في الداخل تسترق السمع وتصمت.

قررت أن تخرج وتفهم ماذا يدور في الخارج. لقد كان أطفال الجيران فعلًا يلعبون لعبة يسمونها «لعبة الموت».

صدمت أمل وشعرت لوهلة أنها عاجزة عن أن تفهم، ومن ثم دون أن تشعر سألت أحد الأطفال: هل تلعبون لعبة الميت والجنازة؟ فأجاب أحد الأطفال: نعم. ومن ثم صاح طفل آخر: هل تلعبين معنا يا خالة؟

شعرت أمل أن كل ما قرأته هو الآن على المحك، كل ما تعلمته في علم النفس هو على المحك. لا بد أنهم اعتادوا مشهد الموت حتى تحوَّل إلى لعبة. لكن كيف يا ترى تجعل هؤلاء يلعبون لعبة الحياة بدلًا من لعبة الموت. عاد الطفل وقال: هل تلعبين معنا يا خالتو؟

حسنًا سألعب معكم، ولكن لديَّ فكرة عن لعبة أخرى، ما رأيكم أن نجربها؟ قالت وهي لا تعرف بالضبط ماذا تريد أن تفعل.

صاح أحد الأطفال: وما هي هذه اللعبة؟

حسنًا؛ اسمها لعبة الحياة، قالت أمل بصوت جهدت ألا يبدو خائفًا.

لعبة الحياة، وكيف نلعبها؟ صاح الأطفال جميعهم.

تعالوا معي، قالت وقد شعرت بقوة غريبة تتسرب إلى داخلها.

سنتخيل أننا الآن في المدرسة وجدار المبنى هذا هو الحائط الذي سنكتب عليه، وكل واحد منكم سيكون أستاذًا.

من يريد أن يكون أستاذًا؟

صاح الأطفال: أنا وأنا.

أحضرت أمل بضع كراسات من البيت ودفاتر وأقلامًا وقالت للأطفال هيا نلعب.

لكن ماذا نفعل بهذه الحفرة في الجدار، سأل أحد الأطفال.

نظرت أمل إلى الحفرة التي خلفتها القذائف في الجدار ثم أطلقت تنهيدة وراحت ترسم حول الحفرة ما جعل الحفرة تبدو كفم ميكي ماوس كبير.

ضحك الأطفال وقالوا: ميكي ماوس كبير يفتح فمه لا بد أنه جائع.

ضحكت أمل وأخفت دمعة وغصة وراحت تلعب مع الأطفال لعبة الأستاذ والمدرسة، إذ شعرت أن الحياة حقًّا هي أن نتعلم كيف نقاوم الهزيمة النفسية. مر ما يقرب من ساعة والأطفال يتناوبون على أدوار أستاذ التاريخ وأستاذ الرياضيات وأستاذ العلوم وأستاذ الرسم و و و، وكانت هي دائمًا تأخذ دور الطالبة. لقد شعرت بسعادة أن تتعلم الحياة من هؤلاء الأطفال ولو في مشهد تمثيلي. مر طبيب الحي وجارهم عامل النظافة وجارتهم المحامية، رأوا جميعًا المشهد وجلسوا بجانب أمل يأخذون دور الطلاب ويتعلمون الحياة من هؤلاء الأطفال الأبرياء. انتهى الدرس وكتب الجميع كبارًا وصغارًا أمنيات على الورق ثم وضعوها في الحفرة – فم الميكي ماوس حتى استطاعوا إغلاقها ■

* ترجمة – بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في ليبيا

بشير عمر*

النزاع في اليمن:

لا تكذب أبدًا

العيون

تقول حكمة يمنية قديمة إن أردت أن تدرك مشاعر الناس فلا بد أن تنظر في عيونهم، فالعيون تبوح بكل شيء. الفزع والفقد واليأس والموت والخوف، رأيت كل ذلك في عيون الناس. أحاول الحفاظ على رباطة الجأش وهم يروون قصصهم على مسامعي. أحاول بث القوة والأمل في نفوسهم، لكن عيني كذلك تفشيان الحقيقة.

عندما اندلع النزاع في اليمن افترضت أنه لن يستمر سوى أشهر قليلة وكنت على خطأ، فها قد وصل بنا إلى عامه السادس. لن تدرك واقع العيش في منطقة حرب حتى تخوض التجربة بنفسك. قد يترصدك الموت وأنت تقطع الشوارع في صورة رصاصة طائشة أو اشتباكات متقطعة هنا وهناك، أو حتى قصف مفاجئ. تلك صورة واقعنا المعاش.

لا أهاب الموت، لكني أخاف مما قد تتعرض له ابنتي ذات الخمسة أعوام إذا فارقتُ هذا العالم. فإنما أحيا لأجلها ولأجل أن أرى اليمن الذي كان.

أكتب هذه الكلمات لأن هذا العام يوافق ذكرى شخصية، ففيه تحل الذكرى العاشرة لانضمامي إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وهذه فرصة للتأمل.

عندما التحقت بهذه الوظيفة وكنت شابًّا صغيرًا في الثالثة والعشرين، أتذكر ما كانت تهمس به نفسي إليَّ بأن الحياة ابتسمت لي أخيرًا. ولكم خاب ظني.

أحجم عن التسوق

كان عسيرًا فهم ما يجري عندما دخل النزاع طور الجد في آذار/ مارس 2015. شرع الجيران والأصدقاء في مغادرة قراهم. وتكالب الناس على شراء ما يقدرون عليه من الطعام.

انزلقت البلاد نحو حافة المجاعة مرات عدة منذ ذلك الحين. ولا يزال نقص المواد الغذائية حادًّا ومعدلات سوء التغذية تبلغ عنان السماء حتى هذه اللحظة.

يعاني أكثر من 16 مليون مواطن من «انعدام الأمن الغذائي». انعدام الأمن؟ يبدو وقع هذه الكلمة غريبًا ومجافيًا للحقيقة. سأخبرك ما يبدو انعدام الأمن عليه.

نسوة وأطفال يشحذون في الطرقات من كسرات الخبز أضألها. صغار يتضورون جوعًا، لم يبقَ فيهم من صورة الحياة سوى

REUTERS

* المتحدث الرسمي باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن

جلد وعظام. بينما تقفز أسعار الغذاء بنسبة 150 في المائة. هذه هي الحقيقة.

أحجم أحيانًا عن التسوق لأنني أشعر بالذنب إذا اشتريت طعامًا بينما ينهش الجوع آخرين. يتملكني شعور بقلة الحيلة، فإمكانياتنا تتضاءل أمام الاحتياجات.

سافرت على جناح وظيفتي إلى كل ركن من أركان هذه البلاد الجميلة. وأسعدني الحظ وتشرفت بمقابلة أناس كثيرين في رحلاتي.

تختلف الشخوص، لكن القصص هي هي. أتذكر امرأة عجوزًا قابلتها وهي تتلقى العلاج في أحد مراكز علاج الكوليرا التي تدعمها اللجنة الدولية في «الحديدة».

أرتني صورة لها في شبابها، كانت بارعة الجمال يفيض وجهها حيويةً.

لم يكن عليها أي مسحة من ذلك لما قابلتها. كانت شخصًا آخر غير الذي في الصورة. قُتل زوجها في انفجار وقع في عام 2016. ولما فقدت الأسرة عائلها، هامت هي وبناتها الثلاث في الطرقات تتسول الطعام.

تحدثنا، وأنصت كلانا إلى الآخر وبكينا معًا. وما تلك إلا قصة من ملايين القصص.

تضرب الكوليرا حيث لا يجد الناس ماءً نظيفًا وصرفًا صحيًّا مناسبًا، فتفشت في البلاد أسوأ موجات الكوليرا. فحتى كانون الأول/ ديسمبر 2020، سُجل أكثر من 2.5 مليون حالة إصابة وبلغت الوفيات قرابة 4000 وفاة.

وبعد الكوليرا والدفتريا، حلت جائحة كوفيد-19، وأصبح اليمن معتادًا على تفشي الأوبئة.

وجهان لليمن

اليائسون يتخذون قرارات يائسة علَّها تنقذهم من الضياع. يبدأ الأمر ببيع الممتلكات من مجوهرات وملابس وأثاث، ثم تبيع البيت ذاته، وأنت تعلم أنك ستتشرد في الشوارع.

هذا هو ما تكتبه الحرب على الناس. تأتيك من كل سبيل لتحطمك وتدفعك إلى قرارات ثقيلة الوطأة على القلب.

لم نلتفت إلى الدمار الذي تشيعه الحرب في النفوس، ولم نبدِ اهتمامًا بالصحة النفسية إلا منذ وقت قريب.

فقد قابلت أشخاصًا يعانون مشكلات نفسية عميقة. تعتقد أن هؤلاء الصامدين لا بد يتحلون بالقوة، ربما. بيد أن المعاناة النفسية لا تبارحهم يومًا واحدًا.

أصوات القصف والانفجارات وصلة تعذيب مستمرة. ولا تستطيع العائلات دفع تكاليف العلاج الطبي، فيتعايشون مع تلك الندوب النفسية الغائرة.

لشدة ما يقلقني تأثير هذا الوضع على أجيال المستقبل. فلا دعم للأطفال الذين شهدوا بأعينهم عنفًا ودمارًا هائلين، وليس هناك من يأخذ بأيديهم لتجاوز هذه المحن.

قابلت أطفالًا يرفضون الذهاب إلى المدرسة خوفًا من الاستهداف. بعضهم انسحب إلى قوقعته واستولى عليه الصمت الشديد والانطوائية. وزالت عن البعض الآخر حساسيته تجاه العنف. ولن تلبث هذه التبعات التي تحيق بالصحة النفسية أن تشتد على المدى الطويل.

بشير عمر يقوم بدوره الإنساني بين أطفال اليمن المستنزف

ICRC

REUTERS

REUTERS

اليمن الذي أذكره كان مترعًا بالحياة والحيوية. لن تدرك الجمال الأخاذ الذي كان يزهو هذا البلد به ما لم تكن قد رأيته قبل اندلاع النزاع

ICRC

بلد تتكلم فيه الجدران:

سيلين ديجين*

عندما وصلتُ إلى اليمن أول مرة، وأنا في طريقي من صنعاء إلى الحُديدة على الساحل الغربي لليمن، لم أستطع أن أشيح بوجهي بعيدًا عن المشهد المحيط بي. كنت أرى اليمن الذي نراه في نشرات الأخبار. اليمن هو البلد الذي وُصف بأنه يشهد أسوأ أزمة إنسانية في العالم. أردتُ أن أحدد وجهًا لهذا البلد، لكن اتضح أن لليمن وجوهًا كثيرة. والجَمالُ الذي كنت أشهده تجاوز ما أمكنني تخيله: تلال خضراء، وهندسة معمارية، والبحر الأحمر الممتد من مدينة الحديدة الساحلية التي ستكون مستقري لمدة عامين.

عندما اقتربنا من المدينة، رأيت حاويات شحن متراصَّة تشكل جدارًا يبلغ ارتفاعه طابقين، وبينها ممرات صغيرة يسير فيها تيار السيارات المتدفق إلى المدينة. على تلك الحاويات صور عنيفة تصور سكان المدينة التي تتعرض للهجوم ومعاناتهم بعد سنوات من النزاع. هذه هي النغمة السائدة في المكان. الجدران في اليمن تتكلم. وفن الشارع بالنسبة للناس هنا هو ما يوازي تحديثات الأخبار على فيسبوك وتويتر. فعندما يكون من النادر أن تحظى بالكهرباء أو الإنترنت، فأنت إما تبتكر وإما تلجأ إلى الوسائل البدائية، وفي هذا ابتكار أيضًا.

منذ توقيع اتفاق ستوكهولم عام 2018، الذي وضع حدًّا لمعركة ساحل البحر الأحمر ●●●

هذا هو اليمن الراهن. لكن ذاكرتي تختزن صورًا عن يمن آخر.

اليمن الذي أذكره كان مترعًا بالحياة والحيوية. لن تدرك الجمال الأخاذ الذي كان يزهو هذا البلد به ما لم تكن قد رأيته قبل اندلاع النزاع.

يمتلك اليمن طبيعة ساحرة: جزيرة سُقطرى بفردوسها البيئي الفريد، المشهد المعماري السريالي في «صنعاء» القديمة التي تعتبر من أقدم مدن العالم والمدرجة في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي، الغطاء النباتي النضر الذي يكسو أراضي «إب»، المباني المعمارية السامقة في صحراء حضرموت.

اعتدت على رؤية السياح المتوافدين من كل بقاع الأرض، إذ يجوبون شوارع «صنعاء» القديمة، ويتسلقون الجبال في «تعز»، ويخيمون في صحراء حضرموت الشاسعة، ويستمتعون بشمس الصباح في «عدن».

هذا هو اليمن الذي أرجو أن يعود. وحده السلام يستطيع أن يأخذ بأيدينا إلى هذا اليمن، ويُحيي جذوة الأمل والحلم في قلوبنا. عندئذ ربما تلتمع عيوننا وتقص حكايات مفعمة بالسعادة ■

اللغة ليست حاجزًا لفهم المعاناة في اليمن

بعد سنوات من النزاع في اليمن، أدت التداعيات الإنسانية التي حلت بالمدنيين إلى واحدة من أشد الأزمات العالمية خطورة وإنهاكًا لضحاياها. لكن ثمة جَمالًا يمكن أن تقع عليه العين أيضًا في اليمن.

* الرئيسة السابقة لبعثة اللجنة الدولية الفرعية في الحديدة باليمن

جاهدتُ بشدة لأبتسم وأصدر بعض الأصوات المضحكة لرفع الروح المعنوية للأطفال، لكن دون جدوى. الأطفال هم الذين يدفعون الثمن الأكبر للحرب

بين أطراف النزاع، لم يتحرك خط المواجهة لكنه ما يزال يقسِّم المحافظة إلى قسمين. وفي ظل ذلك يشهد أهالي مدينة الحُديدة استمرار النزاع. وفي ظل وجود أكثر من 24 مليون شخص في حاجة إلى المساعدة يُعد اليمن مكانًا لأكبر أزمة إنسانية في العالم. لقد عاش شعب اليمن في نزاع استمر لأكثر من نصف عقد.

يقدم زملائي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر المساعدات الغذائية والمياه الصالحة للشرب والمواد الأساسية للمحتاجين هناك. ووسط أزمة الجائحة التي اجتاحت العالم، وفي ظل عمل نصف المرافق الصحية فقط في اليمن، عملنا مع شركائنا جنبًا إلى جنب لزيادة الوعي والدعم للوقاية من كوفيد-19 والاستجابة لمواجهته.

بدا الحي الذي أسكنه في الحديدة كأنه مدينة أشباح. شوارع طويلة خاوية بها مبانٍ غير مكتملة وأخرى يعلوها التراب ومنازل فخمة. قيل لي إننا نقيم في المنطقة التجارية حيث كان يعيش معظم التجار العاملين في الميناء. وقد غادر معظمهم المدينة بعد إغلاق الميناء. وغادر العديد من سكان الحديدة مدينتهم في نهاية المطاف.

بعد وصولي، اصطُحبتُ في جولة في المدينة وحضرتُ اجتماعات ذات صلة بدوري الجديد رئيسًا لمكتب اللجنة الدولية في الحديدة. اكتشفت قلب المدينة وشوارعها التجارية ومصارفها ومخابزها ومحلات الملابس وأكشاك الخضراوات. فوجئت بمستوى حيوية الحُديدة، مقارنةً بانطباعي الأول عن خواء المدينة. الشارع الرئيسي، شارع صنعاء وهو الأكثر ازدحامًا، الذي يفترض أن يدل قائدَ المركبة إلى العاصمة، صار الآن مقطوعًا بجبهة النزاع، أما الأحياء الأخيرة القريبة من تلك المنطقة غالبًا ما تكون خاوية وخطيرة جدًّا للسكنى. ولكي يصل المرء إلى مديرية «باجل»؛ ثاني أكبر المراكز الحضرية بالمحافظة، كانت المسافة تستغرق 35 دقيقة فقط. لكن مع خط المواجهة القائم الآن فإنها تبعد مسافة ساعتين بالسيارة.

تستضيف مدينة الحديدة باعتبارها عاصمة المحافظة الكثير من المكاتب الرئيسية والفروع، فضلًا عن مقدمي الخدمات الصحية المهمين. وبسبب خط المواجهة، تواجه المجتمعات المحلية التي تعيش هنا تحديات متزايدة للوصول إلى مستويات مناسبة من الرعاية الصحية. مستشفى الثورة، على سبيل المثال، هو مستشفى الإحالة الخاص بمحافظة الحديدة. يتكون المستشفى من عدة مبانٍ من طابق واحد حيث تتداخل الممرات وغرف الاستشارة وغرف العمليات وصالات الانتظار والغرف التقنية بطريقة صاخبة وفوضوية. عندما التقيتُ الدكتور خالد مدير المستشفى، الذي يشع وجهه بالكاريزما والعطف، أخذني في جولة سريعة في أرجاء المستشفى. كان بإمكاني سماع كل من جاءوا إلى هنا. أمكنني أن أشعر بألمهم. أعادني صوت المرضى الذين كانوا يطلبون نصيحة الدكتور خالد كل دقيقة وأخرى إلى الواقع. وعلى الرغم من حاجز اللغة، كان بإمكاني الشعور بالثقل الذي يحملونه على أكتافهم، والراحة التي يجلبها لهم الدكتور خالد بنبرته الهادئة وتفهُّمه. مظهره كأب يبعث على الطمأنينة ويبث الراحة في الصدور بطريقة ما، كما لو كان لسان حاله يقول للناس: «حتى ونحن هنا على بعد 500 متر من خط المواجهة، ومع أن هذه واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية على وجه الأرض، فنحن هنا لرعايتكم».

الحوار والثقة اللذان بنيناهما مع السلطات خلال العام الذي أمضيته في مهمتي باليمن منحاني وفريقي فرصة الوصول إلى المناطق الجنوبية من المحافظة، تلك المناطق التي فُصلت إلى قسمين بسبب خط المواجهة في 2018. لم تطأ قدم اللجنة الدولية هناك منذ عامين، وكانت الآمال المعقودة عليها كبيرة.

AFP

في ذلك اليوم، كان هدفنا هو زيارة مدينة «زبيد»، أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو، وفيها أول جامعة إسلامية وتقع على بعد تسعة كيلومترات فقط من خط المواجهة.

كانت الأجواء في «زبيد» مختلفة اختلافًا جذريًّا عن الحديدة. كانت المباني منخفضة جدًّا وبعضها يبدو قديمًا جدًّا. أعطتنا القلعة المنتصبة أمام مركز الرعاية الصحية الأولية لمحة عن الأهمية التاريخية للمدينة. وعندما التقينا بالسلطات المحلية وممثلي وزارة الصحة وموظفي هيئة المياه رسموا لنا فكرة أوضح عما عانت منه المدينة في السنوات الأخيرة والتحديات التي يواجهها السكان.

بسبب المواجهة، تواجه المجتمعات المحلية التي تعيش هنا تحديات متزايدة للوصول إلى مستويات مناسبة من الرعاية الصحية

رباطة جأش

في «زبيد»، انتقلنا إلى المستشفى الريفي حيث أخذَنا المدير في جولة شاملة. عندما دخلتُ قسم التغذية، بدأ الطبيب المسؤول يعرِّفني على كل أم وطفل، وقدم لي موجزًا عن حكاية كل منهم. مشهد هؤلاء الأطفال الصغار الذين يناضلون للتشبث بالحياة حطم قلبي. كنت أخشى أن أنفجر في البكاء إذا سمعت المزيد عن حياة كل منهم. شعرتُ بالخجل من أن يظهر ضعفي بينما هم يُبدون رباطة جأش. لوَّحت لهم بيدي بكل صدق وتلفظت بعبارات التحية العربية القليلة التي أعرفها في محاولة لتجاوز حاجز اللغة وصولًا إلى الأمهات. جاهدتُ بشدة لأبتسم وأصدر بعض الأصوات المضحكة لرفع الروح المعنوية للأطفال، لكن دون جدوى. الأطفال هم الذين يدفعون الثمن الأكبر للحرب.

بعد يوم طويل من الاجتماعات واللقاءات، عدنا إلى الحديدة، وفي عقبنا عاصفةٌ. كان الطريق مسطحًا ومستقيمًا وموحشًا. وكانت السماء مظلمة وملبدة بالغيوم. شكلتْ الجبال إلى الشرق المشهدَ وتراءى لي تناقضها مع حقول سهل تهامة. متَّعت ناظريَّ بهذه المناظر الطبيعية الخضراء التي يرويها المطر قبل أن نصل إلى بيئة الحديدة الرملية.

نشهد منذ فترة موجة من فيروس كورونا تعصف باليمن، فتسلط الضوء على الخسائر المدمرة التي تتكبدها البلاد بسبب الحرب. عدت إلى موطني بروكسل مؤخرًا، وهي المرة الثانية منذ بدء الجائحة وقد دهشتُ لرؤية الأنظمة والتدابير المتبعة: الفحص بالمطار، واختبار الكشف عن عدوى الفيروس، والرسائل القصيرة، والحجر الصحي، ومكالمات المتابعة، والإجراءات الوقائية في الأماكن العامة. كدتُ ألا أتعرف على بلدي. إن افتقار اليمن إلى أبسط وسائل التصدي للجائحة مقارنة بما يُقدَّم في بلجيكا لهو أمر مروع ويفطر القلوب.

صمود لا يوصف

لأسباب أمنية صرت خبيرة في الانعزال في الحديدة، وأمزح مع أصدقائي بشأن إحباطهم بسبب بقائهم في المنزل وهم ينعمون بالكهرباء والمياه الجارية ويعملون من خلف الشاشات ويسترخون أمام [منصة البث] نتفلكس. نحن جميعًا محظوظون وأحيانًا لا نعبر عن الامتنان لما بين أيدينا، لذلك أحاول أن أخبرهم عن اليمن وكيف تبدو الحياة هنا، من قصص فريقي أو المستفيدين من الخدمات الذين أقابلهم. جميعنا لديه ذلك المقياس الداخلي لمدى الصمود أمام المعاناة، وأنا لا أقصد التقليل مما يبذله أصدقائي في بلجيكا، لكن رفاقي اليمنيين هنا في موطني الثاني يواجهون بالتأكيد مشاق أكبر وعلى الرغم من كل الصعاب يظهرون صمودًا لا يوصف.

اليمن موطني منذ أكثر من عام. ولا أعيش فيه حياة طبيعية كتلك التي يعرفها كثيرون، بمن فيهم قرَّاء هذه الكلمات. لكن عندما أكون في هذه المدينة، في مكتبي، في مكان إقامتي، ومع فريقي، فهناك يكون قلبي. هذا هو المكان الذي يستقر فيه التزامي وأجد القوة كي أتغلب على الصعوبات التي أواجهها أثناء زيارتي المستشفيات، والساعات الطويلة على الطريق، ودرجات الحرارة المرتفعة، والتحديات التي لا تُعد ولا تُحصى. قد لا تكون هذه حياة طبيعية بالنسبة لي، ولكنها ليست حياة طبيعية للملايين اليمنيين أيضًا. لا ينبغي أن نأخذ هذه الأوضاع أمرًا مسلمًا به ■

«يخيل لي أني أتيت بالحرب معي»:
قصائد عن

ترجمة واختيار: **ضي رحمي***

أخذوا وطنك وأسموك لاجئًا

نيكيتا جيل

الوطن لغة نضجت في فمك
الآن، لا وجود لها
في أي مكان
بخلاف قلبك وعقلك.

الوطن هو حيث كان عليك أن تعلِّم
أطفالك الهرب
من رجال يرتدون
الحرب والدماء.

الوطن أسطورة، حكاية عن نشأتك
آمنًا سعيدًا
قبل
أن يشعلوا النار في عالمك بأكمله.

الوطن حيث هرعت باتجاه البحر
لأن المكان الذي تنتمي إليه
لم يعد يتذكر اسمك.

الوطن كان ملجأك
الآن، بعد ما
بقسوة انتزعوه منك
يسمونك لاجئًا.

تذكار

وارسان شاير

يخيل لي أني أتيت بالحرب معي
فوق جلدي
كفن يلف رأسي
قيح تحت أظافري
أراها عند قدمي بينما أشاهد التلفزيون
أسمع أنفاسها الرطبة في مكالمات
الهاتف
تنام بيننا في الفراش
تفرك ظهري وقت الاستحمام
تزاحمني عند الحوض
في الليل، تناولني الدواء وتشد على يدي
لكن، عيوننا لم تلتقِ أبدًا.

* ضي رحمي شاعرة ومترجمة مصرية

الحرب واللجوء

الحفر المطبوع للفنان العراقي **صادق كويش** من مشروع «**سيرة حياة رأس**»، كتبه الفنان وأنتجه طباعة حفر سنة 1985.. وأعاد الفنان إنتاجه كفيلم متحرك سنة 2014.

ملاذ

جي جي بولا

تخيل شعور أن تطرد من بيتك
أن تتمزق يداك
أن يفر من بين أطراف أصابعك شيء
تمسكت به بشدة
مثل أكف العشاق التي تنفلت عندما يُدفعون بعيدًا، تمد يدك باستمرار
أبي يتكلم عن الوطن
يتكلم عن وجوه مألوفة
عن الفتاة في البيت المجاور التي سوف تكبر لتصبح أمي
عن بائع الفاكهة في السوق
عن الرجل عند رأس الشارع الذي لم يتحدث إليه أحد
وبيتنا – في آخر الشارع – المضاء بمصباح واحد مرتعش
وما أبعد، ظلام.

هناك، كانوا يجلسون يحكون حكايات
عن الوحوش التي تتسلل وتظهر ليلًا فقط
لتمسك بالأطفال الذين يجلسون يستمعون
لقصص عن الوحوش المتسللة ليلًا
هكذا عاشوا
دفنت كل ذكرى
وترك أمر اكتشاف الكنوز للمنقبين عنها
الكلمات الأخيرة على شفاه فرد محتضر من العائلة
كان هذا مخيفًا
ولا حتى الوحوش تستطيع أن تشعرك برعب كهذا.

لكن، هناك وحوش تأتي نهارًا
وحوش تمزق العائلات بأياديها الضخمة
وأصابعها التي تضغط الزناد
صوت البنادق في السماء أصبح معتادًا مثل دقات المطر على حافة النافذة
وحش يمكن أن يقتل ويختبئ خلف الخطابات والبدلات وربطات العنق
وحوش تطرد العائلات وتجبرها على ترك كل ما تملك خلفها.

أذكر عندما خطوت خارج الطائرة أول مرة
كل شيء كان غريبًا
غير مألوف
أتينا إلى هنا لنجد ملاذًا
أسمونا لاجئين
لذا أخفينا أنفسنا في لغتهم حتى أصبحنا نتكلم مثلهم
بدلنا ملابسنا لنبدو مثلهم تمامًا
جعلنا منه وطنًا حتى عشنا مثلهم وبدأنا نتحدث عن الوجوه المألوفة
وفتاة البيت المجاور التي سوف تكبر لتصبح أمًا
وبائع الفاكهة في السوق
والرجل الوحيد الذي لم يتحدث إليه أحد
وبيتنا في آخر الشارع المضاء بمصباح وحيد مرتعش ليبعد الظلام.
هناك، كنا نجلس ونشاهد الشرطة تتسلل ليلًا
لتقبض على الشباب الذين يجلسون يشاهدون الشرطة التي تتسلل ليلًا فقط.
هكذا عشنا.

أذكر يوم سمعتهم يقولون لي
هؤلاء أتوا إلى هنا ليأخذوا وظائفنا
يجب أن يعودوا لبلادهم
لم يعرفوا أني واحد من الذين أتوا
قلت لهم
إن اللاجئ، ببساطة، هو شخص يحاول أن يقيم بيتًا
لذا، في المرة المقبلة، عندما تعودون إلى بيوتكم
ضموا أولادكم وقبلوا عائلاتكم
وكونوا شاكرين لأن الوحوش لم تأتِ إليكم
لم تأتِ إليكم في البدلات وربطات العنق
لم تأتِ إليكم عبر الصحف مع الأكاذيب الإعلامية
لم تأتِ إليكم قط
كونوا شاكرين أنكم لستم محتقرين.
واعلموا أن عميقًا في قلوبنا، داخل كل واحد منا،
كلنا نبحث دائمًا عن مكان يمكن أن نسميه وطن.

الشعراء:

نيكيتا جيل (Nikita Gill)، **شاعرة بريطانية من أصول هندية**

وارسان شاير (Warsan Shire)، **شاعرة وكاتبة بريطانية من أصول صومالية**

جي جي بولا (JJ Bola)، **شاعر وروائي بريطاني من أصول كونجولية**

■ **كيف تصف تجربتك خلال التصعيد الأخير؟**

اعتبر الناس في غزة التصعيد الأخير «حربًا »، ولكنه كان يمثل أكثر من ذلك بالنسبة لي، لم نكن نتوقع أن نصل إلى بيوت مهدومة على أصحابها من أطفال ونساء وأسر بأكملها. لم نكن نتخيل أن نذهب لانتشال أسر بأكملها من تحت الركام.

كنا تحت ضغط هائل نتيجة للإصابات المتزايدة خلال الساعة الواحدة، لكن كان لزامًا علينا أن نحافظ على الهدوء والصلابة حتى نستطيع تأدية مهمتنا الإنسانية في حفظ الأرواح.

حاوره: **هشام مهنا***

وصف غازي عكيلة، وهو ضابط الإسعاف في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، التصعيد الأخير في قطاع غزة بأنه الأسوأ منذ سنوات طويلة بسبب اتساع دائرة القصف الذي طال شوارع بأكملها. وأضاف عكيلة «أبو حازم»، 56 عامًا، إن الضغوط النفسية الهائلة التي رافقت عمله في إنقاذ الضحايا جراء أعمال العنف تركت أثرًا لن يُمحى من ذاكرته.

ضابط الإسعاف الفلسطيني غازي عكيلة:

لم نتخيل أن نذهب لانتشال أسر بأكملها من تحت الركام

التحدي الأكبر كان بالنسبة لنا هو تحقيق الاستجابة الكاملة لكل نداءات الاستغاثة في نفس اللحظة. أخذًا بعين الاعتبار الطاقات المحدودة لدينا. كنا نستقبل نداء استغاثة كل دقيقتين كمعدل خلال فترة التصعيد الأخير.

لقد عاصرت كل الحروب في أعوام 2008 و2012 و2014، ولكن في هذه الجولة التي اندلعت في أيار/ مايو]، كانت دائرة القصف واسعة، فقد طال القصف شوارع بأكملها حتى إن مقر الإسعاف والطوارئ الذي نعمل به تأثر. الشعور كان متناقضًا، ما بين الاتسام بالقوة وتحمل المسؤولية تجاه زملائي وباقي أفراد الطاقم، إلى القلق والخوف على عائلتي، والخوف على حياتي.

■ **ما هي التحديات والصعاب التي واجهتها خلال الجولة الأخيرة؟**

تحديد الموقع المستهدف كان أمرًا بالغ الصعوبة، وذلك بسبب عدم وضوح الإشارات التي ترد إلينا. أحيانًا كنا نجد مكان الاستهداف بعيدًا بشارع أو اثنين عن المكان المبلغ عنه. هناك أيضًا صعوبة الوصول إلى الأماكن خلال وقت قصير جدًّا. كنا نتوجه للأماكن التي نتلقى نداءات الاستغاثة منها لنجد أن الناس بحاجة لوجود طاقم الإسعاف بجانبهم، على الرغم من عدم وجود إصابات. لقد ولد ذلك ضغطًا إضافيًّا علينا، ومنعنا من تقديم العون لكل المصابين وفي الوقت المطلوب. فالخوف

* موظف في قسم الإعلام في بعثة اللجنة الدولية بغزة

الذي تولد لدى الناس جعل منا طوق نجاة لهم بغض النظر عن وجود إصابات من عدمه لديهم. أحيانًا لم نكن نجد أي وقت للراحة ولو لمدة خمس دقائق حتى نشحن طاقتنا ونكمل عملنا.

ما ميز هذه الجولة عن سابقتها، أنه كان من الصعب علينا أن نصل إلى المستشفى الرئيسي، وذلك نتيجة لتدمير الطرق والمفترقات الرئيسية المؤدية إلى المستشفى، ما استدعى أن نتخذ طرقًا التفافية حتى نتمكن من الوصول، وهو ما يعني زيادة في الوقت من أربع إلى ثماني دقائق إضافية عن الوقت الطبيعي، ناهيك عن سوء أحوال هذه الطرق الالتفافية، وهو أمر كاد يفقدنا حياة مصابين كنا نحملهم.

■ كيف ترى التجربة الآن بعد إعلان وقف إطلاق النار في 21 أيار/مايو؟

حتى بعد انتهاء التصعيد، لم أستطع تجاوز هذه المرحلة، لأني على الدوام أترقب أن تسوء الأوضاع مرة أخرى وأن نعيش تجربة القصف مرة أخرى. أنا ابن غزة وأعرف شوارعها وحاراتها. كلما كنا نتلقى نداء استغاثة، كنت أخاف أن يكون هذا النداء صادرًا من بيتي. كلنا في رحمة الرحمن، ولكنْ للخبرة دور رئيس في استمرار هذا العمل الشاق وعلى أكمل وجه. نحن لا نستطيع رد القضاء، ولكن كنت أدعو اللّه ألا أجد أحدًا من أفراد أسرتي من ضمن من أصيبوا أو ممن فقدوا أرواحهم.

ICRC

■كيف تصف أثر هذه الفترة على أسرتك؟

مشاعر الخوف والقلق كانت مسيطرة ليس فقط على عائلتي، بل على كل عائلات غزة. كان أبنائي ينزلون إلى الدور الأول عند والدتي حتى يخف وقع وصوت الصواريخ والقذائف عليهم، خاصة الصغار من أبنائي. كنت أرفع صوت التلفاز حتى يطغى على أصوات الانفجارات والقذائف، كمحاولة للتخفيف عن أسرتي وعن نفسي. وفي بعض الأحيان، كنت أكذب على أبنائي عندما كنت أتحدث معهم عبر الهاتف للاطمئنان عليهم، خاصة عندما كانت الانفجارات قريبة من مكان عملي. كل أهل غزة عانوا، وكل أهل غزة شعروا بالخوف والرعب، وكانوا على مقربة من الموت.

المؤلم أيضًا، أن معظم الإصابات التي نقلناها كانت في حالة انهيار نفسي نتيجة للتجربة المؤلمة، سواء نتيجة تعرضها لإصابات بليغة أو فقدانها لمنازلها وأحبتها. بعض الحالات كانت إصاباتها طفيفة، لكنها كانت في حالة انهيار عصبي وكان ذلك أصعب من تعرضهم لإصابة بليغة. لقد دربت نفسي على أن أتجاوز ما أمر به، لأنه لا يوجد إنسان على وجه هذا الكوكب يستطيع أن يحمل معه في قلبه وذكرياته ما يشهده خلال موجات العنف هذه.

■ ماذا تأمل أن يحدث في المستقبل؟

أتمنى أن أعيش حياة طبيعية، آمنة، مستقرة سواء على صعيد العمل أو صعيد الأسرة. أود أن أرى المحبة تسود، وأحلم بأن أشهد اليوم الذي أرى فيه فلسطين دولة حرة. سأحال إلى التقاعد بعد نحو أربع سنوات، لكني مقتنع أن هناك جيلًا قادرًا على إكمال هذه المسيرة الإنسانية من بعد جيلي، بكل ما شهدناه من تحديات وصعاب. حلمي هو تأمين أسرتي كما صنع والدي معي.

■ كيف تصف التعاون بين جمعيات الهلال الأحمر واللجنة الدولية للصليب الأحمر؟

جميعنا في الميدان معًا وجنبًا إلى جنب كفرق إنسانية. الهلال الأحمر والصليب الأحمر توأم في العمل الإنساني على مر السنين. وأعرف العديد من الأشخاص العاملين في اللجنة الدولية ممن جمعنا واجب العمل في الميدان. فمعًا لا شيء يوقفنا ■

ICRC

حياة في سيارة إسعاف

"قضيت ساعات في سيارة الإسعاف أكثر من التي قضيتها مع أسرتي وأصدقائي"، هكذا يلخص غازي سالم عكيلة «أبو حازم»، عمله كضابط إسعاف في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. «أبو حازم»، 56 عامًا، من سكان قطاع غزة، ويعمل في الإسعاف منذ عشرين عامًا، وقد شاهد واختبر خلال هذه السنوات، معنى الحرب وتأثيراتها المهولة على السكان المدنيين. الرجل الذي أمضى عقدين من الزمان محاولًا توفير المساعدة العاجلة للضحايا، رب أسرة مكونة من ثمانية أفراد، إذ يعيش مع أمه وزوجته، وستة من البنين والبنات.

بين نار المواساة والتغطية الصحفية

عدسة سمر العوف شاهدة على دمار غزة

لم يكن العيد بعيدًا. يومان اثنان. العيد الذي ينتظره الجميع بعد شهر من الصيام. أهالي غزة ليسوا استثناءً. يستعدون لقدومه بالفرح. تبدأ الأمهات بتجهيز الكعك وشراء الحلويات.

لكن أحبطت الحرب خطط إعداد كعك العيد. بدأت القذائف الصاروخية تنهال في كل مكان مع صوت أذان الإفطار. عندها بدأت بتجهيز كاميرتي ومعدات التصوير، والتفكير في أماكن أرصد فيها آثار القصف. توجهت فورًا لشمال قطاع غزة إلى مستشفى «بيت حانون». أول ما التقطته كاميرتي صور لإصابات جُلُّها لأطفال. بدا لي ممرض يحتضن الطفلة «وفاء» التي لم تكمل سنتها الأولى في الحياة. كان المشهد مربكًا أصوات الصراخ في ردهات المستشفى تتعالى. قُصف منزل على رؤوس ساكنيه. توالى تدفق المصابين. أكثرهم من الأطفال.

ICRC

ICRC

الغبار يملأ المكان ويحجب الرؤية، السكان هرعوا للشوارع، تاركين خلفهم كل شيء: مقتنياتهم وذكرياتهم. اختفى كل شيء كأنه لم يكن

التحدي الأول

كان التحدي الأول الذي واجهته هو تحضير طعام الإفطار والسحور، والوجود في الميدان في آنٍ واحد. كنت أحاول التقاط الصور والعودة لإعداد الطعام قبل موعد الإفطار بدقائق. في اليوم التالي، وقبل موعد الإفطار بدقائق معدودة، قُصف برج «هنادي» غربي مدينة غزة. في دقائق، أنهيت إفطاري، وحملت كاميرتي، وتوجهت لتصوير المكان. تسمرت أقدامي تحت هول المشهد. الغبار يملأ المكان ويحجب الرؤية، السكان هرعوا للشوارع، تاركين خلفهم كل شيء: مقتنياتهم وذكرياتهم.

اختفى كل شيء كأنه لم يكن. اليوم الثالث [من القصف]، كان آخر أيام الشهر الفضيل. يومها، عدت إلى بيتي قبل أذان المغرب بنصف ساعة. توجهت للمطبخ، وفيما أنا أجهز الإفطار، بدأت الأخبار تتوارد حول إنذار تلقاه القاطنون في برج «الشروق» وسط حي «الرمال». تركت كل شيء، وتوجهت لالتقاط صور للبرج أثناء قصفه. يقع هذا البرج وسط المركز التجاري في قلب المدينة، ويحتوي على الكثير من المحال التجارية. وفي مثل هذا الوقت من كل عام، نهاية رمضان وأيام العيد، كان يعج بالناس، وكانت محلاته تشهد حركة تسوق نشطة للأسر والأطفال.

تحول برج «الشروق» إلى كومة من الحجارة.

كنت أنتهي من التصوير، وأعود كي أعمل على تجهيز الصور وكتابة التعليقات لنشرها أولًا بأول. كمصورة صحفية أشعر أن رصد قصص الناس ومعاناتهم وإعلاء صوتهم هو ما أعانني على تحمل رؤية مباني وأحلام مدينتي تتهاوى أمام عيني.

انقطعت الكهرباء وتعطلت شبكات الإنترنت وشكل هذا تحديًا كبيرًا أثناء الأحد عشر يومًا [من العنف الذي اندلع في أيار/ مايو]. هذه مشاكل ليست جديدة علينا في غزة، ولكنها تضاعفت في ظل عدم وجود مكان ألجأ له لإنجاز عملي.

حاولت الحصول على أي قسط من النوم، على الرغم من صوت القصف الذي لا يهدأ. في صباح اليوم الثالث، استيقظنا على أصوات قصف رهيبة نسمعها لأول مرة. قصف كان كفيلًا بإرباك الجميع: رجالًا ونساءً وأطفالًا. تحركت بكاميرتي لأجمع ما يمكن جمعه من قصص الناس. هذه المرة، كنت أسجل بكاميرتي مشهد قصف لبرج آخر، برج «السوسي» والشوارع المحيطة. رأيت دمارًا

●●●

ICRC

ICRC

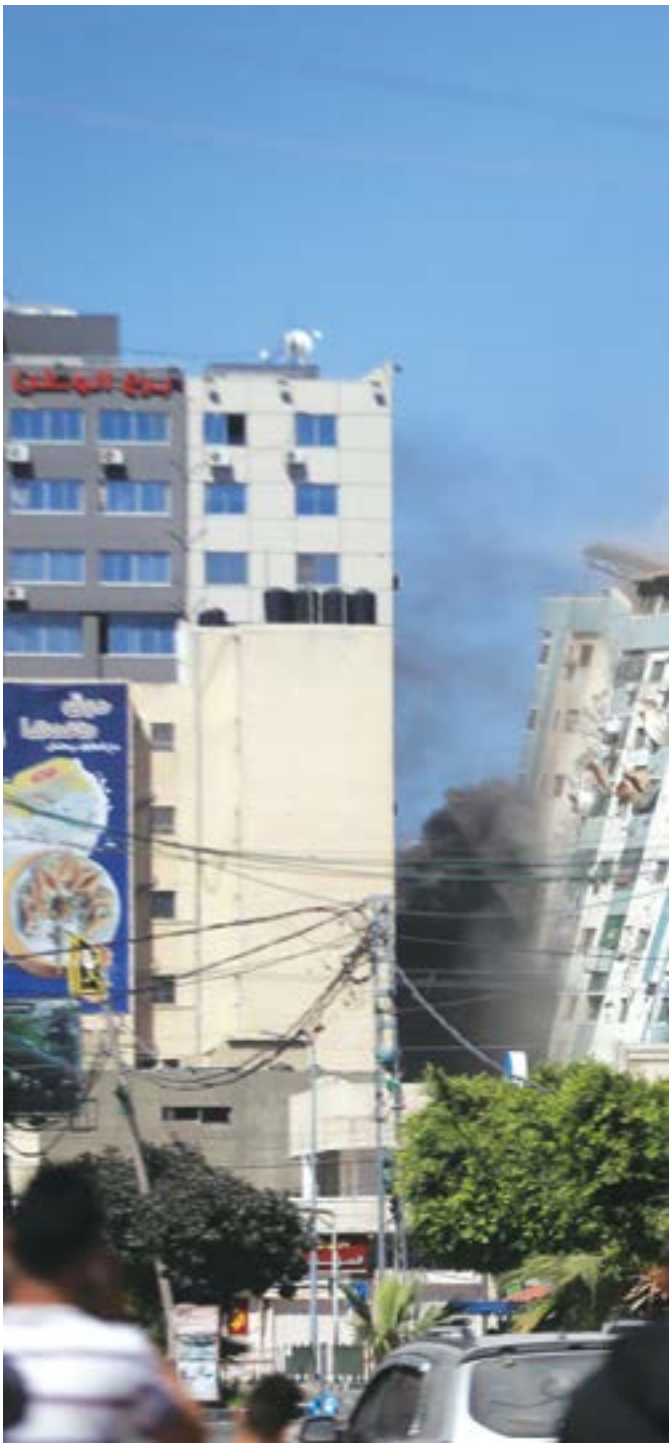

هائلًا. لأول مرة أشاهد مثل هذا الدمار في الشوارع الرئيسية، تدميرًا للأرصفة وتكسير الطرق.

ضغط مضاعف

أصبح الضغط مضاعفًا كمصورة صحفية وأم. الأمان الذي كنت أطمئن به أطفالي وأنا في الميدان كُسرت أولى قواعده. أصبحت أعيش في قلق وأنا بعيدة عنهم وهم يعيشون الشعور نفسه، فهدير الطائرات وأصوات الغارات الجوية المتتابعة أقوى من لحظات الشعور بالأمان.

توالت الضربات على المفترقات والشوارع والأبراج وأنا أعيش تحت هذا الضغط. هوت ابنتي شيماء في دوامة صدمة كبيرة، ما زاد من خوفي وقلقي من أن أخسرها نفسيًّا. كلما خرجت لأداء مهامي، تخاف أكثر. وجدت نفسي مضطرة أن أخفي عنها أماكن تحركاتي حتى أخفف من لحظات الخوف والقلق.

أبنائي يتفهمون طبيعة عملي لكن أصوات القذائف مرعبة. لم أرهم طيلة أيام الحرب سوى لوقت قصير. ساعة متأخرة من الليل. وما إن يطلع النهار، حتى أغادر لأكمل عملي. كان الهاجس الأكبر طوال وجودي في الميدان أن أرى أو ألتقط صورًا لأحد أفراد عائلتي أو أطفالي حتى تحت الأنقاض.

تحول هاجسي لحقيقة في مساء 12 أيار/مايو. كنت في مستشفى الشفاء ألتقط صورًا للمصابين الذين يتدفقون إثر قصف في حي الزيتون شرق مدينة غزة، وقبل أن أرفع كاميرتي وجدت ابن عمتي أمامي. شعرت وكأن قلبي انتزع من مكانه. سألته عن سبب وجوده في المستشفى، فأجاب بأن ابنه من بين المصابين وأن إصابته خطيرة. أصبحت بين نار المواساة والتغطية الصحفية. ما أصعب أن تروي قصة أحبائك. ارتجفت أصابعي. من أين لي بالقوة لالتقاط صورهم؟

عندما أعلنوا عن وفاة الطفل «محمود طلبة»، 15 عامًا، وهو ابن عمتي الذي عهدته مليئًا بالحياة. كيف سألتقط صورًا للجنازة وللحظات الوداع؟ كان إصراري على التقاط الصور أكبر من لحظات ضعفي. انتظرتهم في المستشفى قدمت التعازي ورفعت كاميرتي لالتقاط صورة أخيرة لوداعه. ذهبت إلى البيت حيث أمه وأخواته وأختي وأبناؤها. كنت ألتقط الصور ودموعي خلف الكاميرا تكاد تغشي رؤيتي. ألتقط الصور لدموعهم وبكائهم وقلبي يرتجف؛ خاصة وأنا ألتقط صورًا لأخته «نغم» وهي تحتضنه. أحس بحجم الصدمة التي يشعرون بها. انتهيت من التصوير واحتضنتهم. جملة واحدة «محمود راح يا سمر». هنا ينخلع قلبي وأنا أودعها لأذهب وأكمل عملي في الميدان الذي لا يتوقف فيه القصف ليعلن عن ضحايا آخرين.

في كل مرة كان يشتد فيها القصف وأنا أتحرك في كل المحافظات لألتقط الصور أفكر في أطفالي. لكن الأمر كان مختلفًا في مساء قصف شارع الوحدة. في هذا المساء، كنت في البيت عندما بدأ القصف. اجتمعنا في الصالون. كنا كلما اقترب الصوت، ننظر إلى بعضنا البعض. نشعر أنه يقترب منا. بدأت أسمع صوت أشياء تنزل فوق السطح، حملت هاتفي وبدأت بالتصوير. كان البيت كله يتراقص. بعد أن هدأ القصف، كانت الضربات تبعد عني خطوات قليلة ولكني لا أستطيع الوصول إلى هناك بسبب الدخان الكثيف والرمل الذي كان يسقط فوق البيت. لم أنم تلك الليلة مثل الجميع. مع ضوء الفجر، توجهت للمكان.

كانت الصدمة أكبر من استيعابي.

قصفوا شارع «الوحدة». انهارت عمارات فوق رؤوس ساكنيها من بينهم عائلة أبو العوف وهم أهلي.

لم أتخيل يومًا أن يُقصف هذا المكان الذي نعده أكثر الأماكن أمنًا في غزة. لم أعرف حينها من أين أبدأ التصوير: للدمار أم لرجال الدفاع ●●●

لم أتخيل يومًا أن يُقصف هذا المكان الذي نعده أكثر الأماكن أمنًا في غزة. لم أعرف حينها من أين أبدأ التصوير: للدمار أم لرجال الدفاع المدني وهم ينتشلون الأطفال والنساء والشباب من تحت الركام؟ المشهد قاسٍ لا توثقه عدسة كاميرا

المدني وهم ينتشلون الأطفال والنساء والشباب من تحت الركام؟ المشهد قاسٍ لا توثقه عدسة كاميرا. خيم الحزن على قلبي، تارة أمسك دموعي وتارة أمسحها وأنا ألتقط الصور بقلب مرتجف من هول ما رأيت.

كنت أشاهد رجال الدفاع المدني وهم ينادون إن كان هناك أحياء تحت الركام والأنقاض. كنت أسأل: كيف سيجدونهم؟ كم يومًا يحتاجون؟ أين ذهب الناس؟ كيف كان شكل الشارع قبل الدمار؟

أهذا شكل العيد؟

تملكني الخوف. لا شيء آمن. كل مكان معرض للقصف. لا أمان خاصة بعد استهداف برج الجلاء. لحظة تلقي البرج إنذارًا بإخلائه، لم أصدق. قلت: «مستحيل».

عندما تأكد الخبر. ذهبت لمحيط البرج. وقفت بعيدًا أنتظر وأستعد لألتقط الصور لقصف البرج الذي طالما وقفت فوق سطحه ألتقط الصور لمدينة غزة. ها أنا اليوم أقف أمامه عاجزة عن فعل أي شيء. أقف لألتقط صورًا له وهو يُقصف ويتهاوى.

مع كل برج يقصف، كان الحي بأكمله يهتز، ومعه يرتفع عدد العائلات التي ينتهي بها المطاف في أماكن النازحين. كانت مشاهدة الناس وقت الهروب في بضع دقائق مرعبة. خوف الأطفال وبكاؤهم واحتضان الأمهات. شكل الخوف في عيونهم جميعًا. لا أنسى عند قصف برج «الجندي المجهول» وسط حي الرمال تلك الطفلة التي كانت ترجف، ليس فقط من الخوف، ولكن لأنها كانت مبتلة بالماء، فقد كانت تستحم لحظة قصف شقة في البرج. كان شكلها يوجع القلب.

وطفلة أخرى من البرج نفسه كانت تصرخ

عندما دخلت للغرفة التي سقط فيها الصاروخ. حبس هول المنظر أنفاسي. صاروخ يزن طنًا ونصف الطن سقط على سرير عائلة ولم ينفجر. وكان من لطف الله أن الأم وابنتها لم يكونا على السرير في تلك الليلة

تريد أمها، فيما أمها بجوارها، لكن مع هول الصدمة لم تعرفها. كانت مغطاة بالتراب جراء القصف. من وجع قلبي، تركت التصوير واحتضنتها. حاولت التخفيف عنها.

في الساعة السادسة مساء يوم 17 أيار/مايو، كنت في مستشفى الشفاء. تلقيت اتصالًا من ابنتي الصغيرة «سندس» وهي تبكي وتقول: «ماما في صاروخ نزل علينا». كانت هذه هي المكالمة التي لم أود سماعها يومًا. سألتها فورًا وأين أنتم الآن قالت: «في بيت بعيد قليلًا عن منزلنا». كان شعورًا لا يوصف. لا توجد كلمات تعبر عن ضعفي لحظتها. أنا أعرف جيدًا معنى صاروخ. لم أستطع أن أكمل المكالمة. ركضت مسرعة إلى بوابة المستشفى أريد الوصول إليهم لكني توقفت رغمًا عني لم تستطع أقدامي حملي لأصل إليهم. هزمتني دموعي وأنا أتخيلهم: كيف خرجوا من المنزل وهم يصرخون ويبكون. كيف كان حالهم لحظتها وأنا بعيدة عنهم.

تمالكت نفسي وتوجهت إليهم. كان حالهم صعبًا للغاية. لحظات خوف عاشوها قبل الإخلاء. بالكاد استطاعوا ارتداء بعض الملابس. أخفيت دموعي عنهم، اطمأننت عليهم، ثم عدت لأكمل مهمتي. اتخذت مكانًا قريبًا من بيتي لألتقط بعض الصور له.

تبين في اليوم التالي أنه لم يكن صاروخًا، ولكنها شظية صاروخ كبيرة اخترقت سقف البيت وأحدثت أضرارًا في البيت والحمد لله.

في آخر أيام الحرب في مدينة رفح تقريبًا سقط صاروخ لم ينفجر على أحد المنازل. توجهت للمكان، وكانت الصدمة عندما دخلت للغرفة التي سقط فيها الصاروخ. حبس هول المنظر أنفاسي. صاروخ يزن طنًا ونصف الطن سقط على سرير عائلة ولم ينفجر. وكان من لطف الله أن الأم وابنتها لم يكونا على السرير في تلك الليلة.

انتهت الحرب ولم تنته القصص. لا تكفي السطور لسرد قصص عودة النازحين ورثاء المفقودين، انتهت الحرب وانهارت في داخلنا مع كل صورة قصف ودمار كل معاني الاحتفاظ بالذكريات وحفظ وجوه الأحبة خوفًا من الفقد في أي لحظة.

كمصورة صحافية أعيش بين هذا الشعب نفس الظروف وأتقاسم لحظات الوجع معهم.. كانت هذه الحرب بلا مكان آمن لأي فرد ولا لأي شيء. وعلى الرغم من خطورة التغطية واستمرار القصف من دون أي هدنة للراحة، استطعت أن أوثق ما حدث بالصور وأن أكون من ضمن الطواقم الصحفية التي وثقت عدساتهم المأساة، واستطاعوا نقل الصورة الإنسانية كما يجب أن تصل ■

ICRC

ICRC

الإنسانية في شعر محمود درويش

هناك مئات المقالات التي كتبت حول الشاعر الفلسطيني محمود درويش (1941–2008) وحاولت كلها تأكيد الجوانب الاستثنائية في تجربته الإبداعية، وقدمته أيضًا في صورة الشاعر المعبر عن قضية بلاده، ومساعي الشعب الفلسطيني للتحرر من الاحتلال. شاعت هذه القراءة، إلى درجة أنها اختزلت موهبته، وسعت لحصر دوره في الجانب السياسي، في حين أن الشاعر بحق هو من يستطيع أن يمنح شعره بُعدًا إنسانيًّا يتجاوز عبره إطار الجغرافيا ليصبح حاضرًا في التاريخ.

لدى قرَّاء الشعر في العالم سجل حافل بأسماء الشعراء الذين حملوا راية التعبير عن قضاياهم الوطنية، لكن شعرهم اتسع في نفس الوقت ليحمل سمة إنسانية أعمق، ومن ثَمَّ يمكن لقرَّاء أشعار لوركا وبول إيلوار وبريخت وبابلو نيرودا، أن يشعروا اليوم بالكثير من الامتنان لما تمنحه أشعار هؤلاء من مشاعر تفيض بالتضامن الإنساني، وتعزز من حضور القيمة الجمالية بوصفها المعيار الأهم في الحكم على جدارة النص الأدبي.

وطوال مسيرته، التي امتدت لأكثر من نصف قرن، سعى محمود درويش ليأخذ شعره إلى فضاء إنساني أعمق من دائرة الالتزام السياسي اليومي.

وتجسد قصيدته **فكِّر بغيرك** التي كتبها في أواخر تسعينيات القرن الماضي، هذا المسعى بوضوح فقد كتب:

وأَنتَ تُعِدُّ فطورَك، فكِّرْ بغيرِكَ
[لا تَنْسَ قُوتَ الحمامْ]
وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيرِكَ
[لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ]
وأَنتَ تُسدِّدُ فاتورةَ الماء، فكِّر بغيرِكَ
[مَنْ يرضَعُون الغمامْ]
وأَنتَ تعودُ إلى البيت، بيتكَ، فكِّرْ بغيرِكَ
[لا تنس شعب الخيامْ]
وأَنت تنام وتُحصي الكواكبَ، فكِّرْ بغيرِكَ
[ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيِّزًا للمنام]
وأَنتَ تحرِّرُ نفسك بالاستعارات، فكِّرْ بغيرِكَ
[مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكلامْ]
وأَنتَ تفكِّر بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك
[قُلْ: ليتني شمعةٌ في الظلامْ]

وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيرِكَ:

درويش على محك آخر

تعبر هذه القصيدة الصغيرة عن كثير من المعاني التي يمكن العثور عليها في المواثيق الحقوقية الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، وتبدو كأنها إجابة عن التساؤلات التي تحاصرنا في عالم اليوم.

ومن اللافت للنظر، أن قراءات نقدية وتعليقات صحفية كتبت حول هذه القصيدة أخيرًا ربطتها بما يجري حولنا في بقاع العالم المختلفة، ومنها على سبيل المثال قراءة للكاتب الكويتي عبد العزيز الكندري[1].

يقول فيها: «**فكر بغيرك... ممن يهربون من البراميل المتفجرة وهم يشقُّون عباب البحر في قوارب متهالكة بحثًا عن شواطئ الحياة، والنتيجة موت العشرات، وبعدها يمر الخبر مرور الكرام في نشرات الأخبار كأن النفس الإنسانية أصبحت بلا قيمة، وغالبية الهاربين في قوارب الموت، دفعهم إلى ذلك، الفقر والقتل على الهوية والحروب الطائفية الطاحنة التي تعيشها المنطقة العربية، وما الذي يحدث في العالم العربي بالضبط؟**»

مثل هذه القراءة تضع شعر درويش على محك آخر، فهي تأتي بعد سنوات من وفاته، وتجعل شعره في قلب أسئلة الواقع الراهن، وبالذات ما يتعلق بأوضاع اللاجئين ومشكلات الاندماج.

حد أدنى من الوطن

وبالمثل تنظر الألمانية **ميلاني كريستينا مور**، نظرة مشابهة لقصيدته «**مقعد في قطار**»، ففي القصيدة يصف محمود درويش بشكل لافت للنظر مشاعر الناس وهم في طريقهم إلى مستقبل مجهول، في كثير من الأحيان في قطارات غريبة، ويصف كل محطة قطار على أنها مكان آخر للجوء، تعزز شعور اللاجئ بالخوف من المجهول.

AFP

يقول الشاعر: «**كُلُّ أهلِ القطارِ يعودون للأهلِ، لكننا لا نعودُ إلى أي بيتٍ**».

ترى كريستينا مور، أن هذه النصوص الشعرية التي كتبها درويش، كانت مستمدة من خبرة حياته التي كانت «**مصبوغة باللجوء والمنفى، ويطغى عليها موضوع المأساة الفلسطينية حتى موته عام 2008**»[2].

يقول درويش: «**نسافر بحثًا عن الصِّفْر**»، وهكذا نجح في تحديد طبيعة اللجوء، فاللاجئ يحمل في جيوب سترته الحد الأدنى من الوطن، وغالبًا ما يكون مفتاح البيت القديم وصورة الأسرة.

وفي مأساة «**بيت جراح**» التي تفجرت قبل شهور في غزة، رأينا عشرات التقارير الإعلامية التي تظهر الفلسطينيين من الأجيال الأكبر وهم يحملون مفاتيح بيوت الآباء، ولم يفقدوا أبدًا الأمل في استردادها بعد جلاء الاحتلال.

يجدد أمثال هؤلاء ثقة محمود درويش في اختراع الأمل، وكما أكدت ناقدة صحيفة «هارتس» الإسرائيلية عقب وفاته، فإن درويش عاش عمره متشبثًا بالأمل، وكانت رؤيته تقوم على تصور أنه إذا لم يوجد أمل، فعلينا اختراعه [3].

وفي حوار مع الناقد شربل داغر، يقول درويش: «**قوة الأمل لا تأتي دائمًا من قوة التعبير عن نهاية متفائلة لمجزرة إنسانية، لأن قوة الحزن وحتى قوة اليأس إذا عبر عنها بإبداع تخلق أملًا، وهو أمل القدرة البشرية على الإبداع**»[4].

يقول الشاعر في قصيدته «**حالة حصار**»:

هنا،
عند مُنْحَدَرات التلال،
أمام الغروب وفُوَّهَة الوقت،
قُرْبَ بساتينَ مقطوعةِ الظلِّ،
نفعلُ ما يفعلُ السجناءُ،
وما يفعل العاطلون عن العمل:
نُرَبّي الأملْ.

بإصرار واضح: «**سأقْطعُ هذا الطَّريق الطويل، وهذا الطريقَ الطويلَ، إلى آخِرِهْ. ... تضيقُ بنَا الأرضُ أو لا تضِيقُ. سنقطعُ هذا الطَّريقَ الطَويلْ**».

ربما كان معنى الأمل هو أحد أكثر المعاني التي تفيض بها نصوص الشاعر الراحل، فمن خلاله أراد أن يخلق «**هوية مشتركة**» تتصدى لمأساة الاحتلال.

تحوِّل الجرح إلى وردة على الرغم من أن درويش أكد مرارًا رغبته في تحرير قصيدته من طابعها التوثيقي، فإنه بالمقابل نجح في تطوير النظر لمفهوم الالتزام السياسي، وجعله قرين الالتزام الإنساني، وتعكس أشعاره مسار هذا التطور بوضوح أخاذ، جاء مرتبطًا بتنامي خبرات الشاعر وتجاربه، ففي بداياته داخل

سيد محمود*

الأراضي الفلسطينية المحتلة، كتب النصوص التي جعلت شعره حاملًا لقضية «**شعب الخيام**»، وهي إشارة واضحة لرسوخ فكرة «**التشرد واللجوء**».

وتعطي قصيدته الشهيرة «**سجِّل أنا عربي**» المثال الأبرز عن تمسكه بهويته العربية، ومع تجارب السفر والإقامة بين موسكو والقاهرة وبيروت ثم تونس وباريس ورام الله، تخطى درويش حدود مسؤوليته عن تبني القضية الفلسطينية، والتعبير عن ذلك شعريًّا، لأن شعره استمد منابع جديدة، وراح أيضًا في روافد متعددة.

وفي الثمانينيات، كتب مقالًا أظهر فيه وعيًا استثنائيًّا بأهمية تحرر النص من ضغط اللحظة، وقال: «**ما يهدد نمو كتابتنا الأدبية هو الجانب اليومي من السياسي، وذلك لتعرضنا الدائم إلى مشروع إبادة يستنفر في التصدي له كل طاقات الدفاع عن النفس، مما يضع البراعة الأدبية في حرج أخلاقي، كأن تسأل أية إنسانية تطلع من هذه الجمالية؟**».

ويضيف: «**إذا كان من صفات الأدبي أنه ورشة لصناعة الجمالية، فإلى متى يرضى الإنساني فينا بهذه المفارقة التي تحوِّل الجرح إلى وردة؟ لقد عوَّدتنا الحياة على تقديم الفاعلية على الجمالية؟ لكن الأدب يقدم فاعليته من حيث هو أدب، ذو فاعلية، لا من حيث هو فاعلية**»[5].

تحرر شعر درويش في مرحلته الأخيرة من المعنى السياسي المباشر، وراح باتجاه صيد التفاصيل الصغيرة، عمل على صياغة مفهوم إنساني للهوية الفلسطينية، منطلقًا من تجارب الأمكنة، متقدمًا على التعريفات التي جعلت من الفلسطيني تابعًا لقضيته وحدها، أو لتوصيفات اللجوء فقط.

وفي مقال آخر نشره الشاعر أوائل السبعينيات خلال وجوده في مصر تحت عنوان: «الشعر يعلن حضوره» (30 يونيو 1972) نلمح مبكرًا جذور الإيمان بتحرر الشعر من مهمة التعبير المباشر ورفض فكرة الاحتجاج.

ويتعقب القاص الفلسطيني مازن معروف، تطور قصائد محمود درويش، ملاحقًا التحولات العميقة في وعي الشاعر بمفهوم الالتزام، فقد تجاوزت قصائده مهمة التبشير بالمقاومة الفلسطينية، على الرغم من أنها تضمنت شكلًا مباشرًا في الكلام الشعري، وأحد أنماط الخطابيات السياسية الشعرية، والإيديولوجية العاكسة ليسارية عميقة، فالشاعر كان ابنًا لحزب «راكاح» الشيوعي الإسرائيلي، لكنه أكد في المقابل تناوله لكل أشكال الاغتراب.

يقول معروف: «**لولا معرفة القارئ بهوية محمود درويش كفلسطيني، لم يحمل سمات كبيرة أو مباشرة على أن له مصدرًا سياسيًّا أو فلسطينيًّا طاغيًا، إلا في قصيدة «سجِّل أنا عربي». فهو اتخذ قالبًا إنسانيًّا عامًّا، وأُقرِنَ بألم العاشق أو الغريب، كما تجسّد في أوجه مختلفة، ناورت كلها للوصول إلى المحطة النهائية: الفلسطيني المدفوع إلى الخارج، إن لم يكن المطرود. فهو اغتراب في الهوية، وانفعال داخل مأزق الانتماء، كما هو اغتراب عاطفي، فَقْد للحبيبة، وفيه استحضار بطبيعة الحال لمناخ هذا الحب وبيئته، أي المكان وظروف تشكل الذاكرة**».

قدّمت الأقلام العربية محمود درويش كشاعر رومانسي، لكن بألم مضاعف. فهو مكسور بين الحب والبلاد، الحضور والاغتراب، الذاكرة والحاضر، والنسيان والتمدد في مكان متخيل. لكن نبرته على الرغم من هذه الأثقال، ظلت غنائية كما يقول معروف.

أنسنة العدو وفي مرحلة أخرى، غامر درويش بتقديم صورة مغايرة للعدو، وتحديدًا منفِّذ هذا العداء، أي الجندي الإسرائيلي. فـ«**جندي يحلم بالزنابق البيضاء**» يتحاور الشاعر مع جندي سئم الحرب.

تبدأ القصيدة بسؤال حول معنى الوطن «**يحلُمُ بالزنابق البيضاءْ/ بغصن زيتونٍ/ بصدرها المورق في المساء/ يحلمُ، قال لي، بطائر/ بزهر ليمون/ ولم يفلسف حلمه.. لم يفهم الأشياء/ إلا كما يحسُّها.. يشمُّها/ يفهم، قال لي، إنَّ الوطنْ/ أن أحتسي قهوة أمي/ أن أعود في المساء/ سألته: والأرض؟/ قال: لا أعرفها/ ولا أحس أنها جلدي ونبضي**».

يقول معروف: «**أنحى درويش جانبًا المكوّن الثوري لقصيدته، ليعتمد على قراءة غير عالية النبرة للواقع الفلسطيني، ومن عيني جندي إسرائيلي هذه المرة. انتقال حاد من صيغة الإنسان – الضحية إلى صيغة الإنسان – الجندي، لم يكن مستنسبًا إلى خصوصية فلسطين، بل آثر درويش أن يمدِّد معنى الوطن في شروط إنسانية مجردة من جغرافيا المكان ودلالته المعنوية ورمزيته الخاصة الدينية. يؤدي ذلك إلى تشابك الملامح المكونة لمفهوم الضحية مع بعضها البعض**».

يرى مازن معروف؛ أن الجندي، كالضحية، يحلم، يريد زنابق بيضاء، ولا حاجة لضعفاء يقتلهم. وهكذا قلص الشاعر فكرة الوطن إلى

●●●

* صحافي مصري، صدر له كتاب «المتن المجهول، محمود درويش في مصر».

حدود الفهم الفردي غير الإيديولوجي «**ولم يفلسف حلمه، لم يفهم الأشياء إلا كما يحسها**».

يأتي الإنسان في قصيدة درويش غير خارق، خطابه يولد من التعب ويندرج في البساطة. إنه إنسان مرتد على وظيفته، أي على الظروف المؤسسة لحالة الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وعلى الوحشية، وهو في حاجة لركن يلجأ إليه، واللجوء هنا ليس سياسيًّا بل عاطفي كذلك.

ومن يعود لمقالات درويش، التي نشرها في صحيفة الأهرام خلال إقامته القصيرة بمصر بين عامي 1971–1972، يمكن أن يستدل على وجود حرص مبكر لدى الشاعر على «أنسنة العدو»، أكثر من «شيطنته».

وعبر التأكيد على المأزق الإنساني لهذا العدو، يمكن الرهان على موقف أخلاقي يعزز من معنى المقاومة كشرط للتحرر الإنساني، وامتدت هذه الرؤية لتشمل ديوان «حالة حصار» الذي كتبه عقب الحصار الذي تعرض له الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، في رام اللـه في العام 2003.

يقول الشاعر:

«**إلى قاتل: لو تأملت وجه الضحية**
وفكرت، كنت تذكرت أمك في غرفة الغاز، كنت تحررت من حكمة البندقية وغيَّرت رأيك: ما هكذا تستعاد الهوية!».

إحساس بالضائقة

هناك مقال كتبه الشاعر بعنوان: ««**أنا وأنت والحرب القادمة**»، يبرز مخاوف إسرائيلي يكتب رسالة إلى صديقته في رواية للكاتب الإسرائيلي، أهود بن عيزر، يشير درويش في مقاله المهم إلى دلالات بروز تيار سمَّاه «القلق في الأدب الإسرائيلي» وهو ناتج عن الإحساس بالضائقة والخوف من الحرب المستمرة دون أن يوجهوا التهمة ـ دائمًا ـ إلى عنوانها الصحيح»[6].

وراكم درويش على هذا المعنى أيضًا في قصيدة كتبها ضمن «حالة حصار» تقول:«**سيمتد هذا الحصار إلى أن يحس المحاصِر، مثل المحاصَر، أن الضجر صفة من صفات البشر**»

يقول درويش في حوار: «**لم أعد أعبر عن اللحظة السياسية الفلسطينية، بل عن إنسانية الفلسطيني، وانتقلت بالتالي من النمط إلى الإنسان، أي إنني أطرد من صياغتي الخطاب السياسي، وأتعمق في تراجيديا الشرط الإنساني، فقد انتقلت إلى أنسنة الموضوع الفلسطيني، وصرت أربط السؤال الوطني بالسؤال الوجودي العام**»[7].

الشاعر يحاور ذاته

يلاحظ نقاد شعر محمود درويش، أن الشاعر عبر مسيرته سعى لمسألتين واضحتين، الأولى: أنه عمل على إعادة إنتاج المكان شعريًّا، والتعامل مع جزئياته وتفاصيله كبعد حميمي للذات، كما تم استخدام المكان في قصائده كفاعل في تغيير شخصية الإنسان، أما المسألة الثانية؛ فقد جاءت من فهمه المتقدم لمعنى الهوية.

وتعطي قصيدة «طباق» التي أهداها لصديقه الأكاديمي الفلسطيني البارز إدوارد سعيد، حاور الشاعر صور هويته المتعددة، وانتصر لتعدديتها بسبب مفارقات المنفى التي تمنح «**هويات بدلًا من هوية واحدة**» ويثني على إدوارد سعيد، لأنه بقيَ مخلصًا لصوته كضحية تقاوم الاستعمار الاستيطاني.

تقول الروائية، ليانة بدر: «**توحي قصيدة طباق بأن الشاعر يحاور فيها ذاته**»[8]:

«**الهوية قلت / فقال: دفاع عن الذات / إن الهوية بنت الولادة لكنها في النهاية إبداع صاحبها، لا / وراثة ماض، أنا المتعدد. في / داخلي خارجي المتجدد.. لكنني / أنتمي لسؤال الضحية**»

وعلى الرغم من الشهرة التي تحققت له، فإن درويش ظل يستجيب إلى ألم عميق لا يتوقف عن حفره عميقًا هو ألم المنفى، ويؤكد في شعره على مفهوم منفتح للعروبة، لا بصفتها هوية مغلقة على نفسها، وإنما مفهوم منظور إليه عبر اللغة بصفتها أداة لهذه التعددية، لذلك ظل يتحاور في شعره مع هويات متعددة وإرث إنساني متنوع[9] ■

1– صحيفة الرأي العام، الكويت، 25 أبريل 2018.
2– مقال على موقع قنطرة.
3– الإشارة في كتاب: (ميشال سعادة، عصي على النسيان، رياض الريس، 2008)
4– راجع الحوار في كتاب محمود درويش يتذكر في أوراقي، مؤسسة سلطان العويس، دبي 2019، ص 330.
5– من كتاب، مقالات اليوم السابع، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2019، تحرير حسن خضر، ص 218.
6– راجع نص المقال في كتابي : «المتن المجهول، محمود درويش في مصر»، دار المتوسط، ميلانو / بيروت 2020.
7– شربل داغر، المرجع السابق، ص 326.
8– ليانة بدر، تغريدة الشاعر، أثر المكان على الهوية في أعمال محمود درويش، دار الناشر، رام اللـه، 2013، ص 144.
9– جان ميشيال مولبروا، أرشيف جريدة السفير، 14 أغسطس 2008.

نورا ناجي*

عشر سنوات من المشي في المكان

1

في الشتاء، تفرغ الشوارع من المارة، ميدان التحرير بالذات يبدو فارغًا أكثر مما يجب، وكانت أضواء السيارات تنعكس على ماء المطر في أرض الشارع فتحدث توهجاً، ضياً يثير في النفس الكثير من الذكريات.

ينقبض صدري كلما مشيت في الميدان، وعلى الرغم من عدم تصريحي حتى لنفسي بصوت عالٍ، إلا أنني أشعر بشكل ما أن طاقة المكان تطبق على صدري، أحيانًا أفكر أن الهواء لا يزال يحمل رائحة الغاز، ثمَّة ضباب خفيف أزرق متخلف من كل القنابل التي ألقيت وقتها، ضباب ساكن لا ينقشع أبدًا.

المشي في شوارع المدينة يشبه المشي داخل كرة شفافة، مشي في نفس المكان، بالذات لو كنت تمشي في منطقة وسط البلد، تخيل حركة الدوران المستمر حول الكعكة الحجرية، أو حول تمثال طلعت حرب. وعلى الرغم من ابتعاد الذكرى فإنها لا تزال كامنة بشكل ما. وعلى الرغم من لحظات الفرح التي شهدها الميدان بعد ذلك. على الرغم من التجديدات والمسلة التي احتلت مكانها في منتصف الكعكة الحجرية وعلى جانبيها تماثيل الكباش، والأضواء التي تشع من البنايات المطلة عليه، فإن الطاقة الباقية لا تزال تصيبني بالانقباض، تعطل حواسي بشكل أو بآخر. هناك أيام أفقد فيها القدرة على البصر أو السمع أو الإحساس أو التذوق أو الشم، ربما لأنني أرغب في التخلي عن الذكرى، فأتخلى في نفس الوقت عن نفسي. نحن الجيل الأكثر تواصلًا، وعلى الرغم من ذلك الجيل الأكثر إحساسًا بالوحدة. لماذا يقبع كل منا داخل كرة شفافة؟ لماذا نحيط أنفسنا بهذه الحواجز؟ يبدو أن الأمر يتعلق بالثقة، لم نعد نثق في أيِّ شيء، ولا حتى الفرح الهش وسط الأحباء لأنه في النهاية ينتهي مثل أيِّ شيء آخر.

2

أشعر دائمًا بأن الزمن اللزج لفترة التسعينيات والألفية الجديدة بات أكثر سرعة لدرجة عدم الإحساس به، لا يشعر أبناء جيلي بمرور الزمن كما كانت تشعر به الأجيال من قبلنا، وعلى الرغم من السرعة فإننا نشتكي عادة من بطء سير الأيام، ومن الملل الذي يسيطر على الحياة.

أكتب على الفيسبوك كل شهر، متى ينتهي هذا الشهر؟ أشعر أنني في انتظار شيء ما لا يحدث أبدًا، الانتظار يفقدني الشعور بالحاضر، أحيانًا أشعر أنني غير حقيقية، لا أعني وجودي المادي في الحياة، ولا حتى ما أكتبه على الفيسبوك،

صحافية وروائية مصرية

أعني شعوري نفسه تجاه نفسي، أشعر أنني بشكل أو بآخر مؤقتة، أريد الانتهاء من كل شيء بسرعة، أنتظر شيئًا ما أن يحدث، لكني لا أملك شيئًا ما يحدث. سؤال كيف أخبارك يربكني لأنه لا أخبار، لا أخبار على الرغم من كل شيء، لا أخبار على الرغم من أيِّ تغيُّر، على الرغم من تحديث الحالات على الفيسبوك، على الرغم من الصور والكتب والروايات. لا أخبار تعنيني بالفعل، لا ردود سوى الحمد للّه، ثم اعتصار ذهني في محاولة التفكير في شيء: أقرأ، أكتب، أنام أسمع مزيكا أشاهد أفلامًا.. أحداث عادية أو ربما جيدة، لكن لا أخبار.

أنشر صورة على الفيسبوك أبتسم فيها بسعادة حازت إعجاب المئات على الرغم من أنها صورة كاذبة لأنها منذ وقت طويل جدًّا، ولأنني غير ما أظهر في الصور، ولأني لا أبتسم عادةً، ولا أسرح شعري عادةً، ولا أرتدي ملابس جيدة. الآن أنا لا أبتسم، ولا أضع مكياجًا، شعري ملموم بتوكة قديمة وأرتدي جاكيت فوق بيجاما، أشعر بالبرد والقبح والحزن والمرارة، لكن الفيسبوك يزيِّف الحقائق ويزيِّف الحياة ويزيِّف تاريخ هذا الجيل.

•••

جرافيتي لشهداء على حائط بشارع محمد محمود المطل على ميدان التحرير

REUTERS

المشي في شوارع المدينة يشبه المشي داخل كرة شفافة، مشي في نفس المكان، بالذات لو كنت تمشي في منطقة وسط البلد

3

أنسى كيف كنت أقضي أيامي في الماضي، قبل الثورة التكنولوجية وانكفائي أنا وكل شخص من حولي على هاتفه لا يرفع عينيه من عليه. لا أتذكر سوى لقطات متفرقة، أتذكر الشباك البنفسجي فوق الكنبة في غرفة الضيوف، كنت أواربه بما يكفي لأتلصص على الشارع وشرفات الجيران دون أن يراني أحد، في كل شرفة حكاية، قط سيامي يتثاءب في شرفة ماري، وكوب شاي منسي في شرفة طارق، وأشراش بصل في بلكونة طانط نبيلة، وسطح بيت طانط إيمان المليء بكراكيب تبدو مسلية جدًا، ذات يوم صعدت مع ابنتها وصديقات الشارع إليه لننظف خزانة منسية ونرص فيها الكتب والمجلات، افتتحت وأنا طفلة أول مكتبة صغيرة في شارعنا. لم يأتنا أي زبائن لكننا كنا سعداء بالمكتبة الصغيرة، سعداء على الرغم من فشل المشروع في يوم واحد، لكن الخزانة لا تزال باقية في مكانها، تلمع بعد تنظيفنا لها بالسلك على الرغم من الدجاج الذي يمرح حولها الآن.

لماذا توقفت عن المعافرة؟ ولماذا توقفت عن التلصص والمراقبة، أسير الآن في الشارع لا أرفع نظري عن الأرض، رأسي مشغول بهموم حمقاء لا معنى لها، تساؤلات وجودية عن قيمة حياتي، رغبة جنونية في نيل تقدير لا يأتي ولا يهمني في الواقع أن يأتي، إنما أفعل ما يتطلبه مني هذا الزمن، أفعل ما يتوقعه مني الآخرون، أنصاع للضغط المستمر عليّ وعلى من حولي، ضغط التميُّز وكأنني سأربح كأسًا، وخلال السعي المحموم نحو هذه الكأس الوهمية، أنسى نفسي، أنسى ما أحب، ومن أحب، أنسى أن أعيش الحياة.

4

لم أعد أشعر بالفرح، لم تعد كلمات الحب تسعدني، توقفت حتى عن الشعور بالعاطفة نحو من أحبهم، وجودهم لم يعد مهمًا إلى هذه الدرجة، حالة زهد تشبه ما قاله مصطفى إبراهيم في قصيدة المولوية: «أنا عارف أعيش من غير ما أحتاج إني أقرا الوقت.. من غير ولا واحد م اللي أنا أعرفهم دلوقت»، حتى وقت قريب كنت عاجزة عن البقاء وحيدة، كنت أخاف في لحظة انتهاء اليوم وإخلاد كل من أعرفهم للنوم، أبحث عن شخص لأحدثه على الهاتف، في عزلة الكورونا وقعت في فخ التعرف على أشخاص غير مناسبين، فقط لأبقى على تواصل إنساني طوال الليل. وندمت بعد ذلك على كل لحظة ضاعت على اللا شيء، الآن لم أعد أريد سوى البقاء وحيدة، العزلة المزدوجة،عزلة الكورونا وعزلة ابتعاد الأحباء منحتني مناعة، يبدو أن الكمامة باتت رمزًا للحماية الفعلية والمعنوية، أرتدي الكمامة لأختفي، لا يتعرف عليّ أحد بسهولة، أسير في الشارع أو المول دون أن أقلق من تعثري بأحدهم، وحتى لو حدث، أنا في مأمن من التلامس البشري، وفي مأمن من البقاء قريبة، وفي مأمن من الزيارات والمناسبات والتجمعات إلى حد ما، الكورونا منحتني فرصة جيدة لتحقيق حلم قديم بالاختفاء أسفل نقاب أسود، والتحول إلى شخص آخر، امرأة أخرى لا تشبهني لكنها أكثر تصالحًا مع روحي.

5

عشت في عشرة بيوت، لكنني دائمًا ما أفتقد الشقة التي عشت فيها لمدة عام ونصف في مدينة بعيدة جدًا، إنتشون التي تطل على المحيط الهادي في كوريا الجنوبية. كنت أقف كل يوم في شرفة الشقة لألقي نظرة على الشارع الفارغ، أسأل نفسي أين أنا وما الذي أتى بي إلى هنا؟ لم أقدر يومًا على إطلاق لفظة بيت على هذه الشقة التي أعيش فيها، كانت العلاقة بيني وبين المدينة تترنح بين الكراهية والحب بطريقة مدهشة، كنت أسلم بمشاعري الطبيعية بالاغتراب والوحدة، لكن في نفس الوقت أحتفظ داخلي بتفاصيل الموجودات ورائحة الهواء وشكل المباني والجبل الذي يحد بصري على اليمين، والسماء التي تفتح لي آفاقًا أبعد على اليسار.

إلى اليوم أنا قادرة على استعادة صوت أنفاسي المتلاحقة وأنا أسير في الشارع الفرعي المتجه صعودًا إلى الشارع الرئيسي، أحفظ شكل الأشجار على الجانبين وبوابات الحدائق الصغيرة المحيطة بالبنايات، داخلها مفروش بالرمال وفيها أرجوحتان و«زحليقة». أحفظ شكل عربات الباعة على الجانبين، يبيعون الخضار والفاكهة والتوابل تمامًا مثلما يوجد في طنطا، حتى شكل البائعات واحد، يفرق بينهن عيون ضيقة وتجاعيد غائرة جدًا وشعر مكشوف ناعم.

أصل إلى الشارع الرئيسي فأتجه يمينًا، ربما أتوقف لأتفحص قطع الملابس منخفضة الأسعار معروضة على حوامل معدنية في الشارع، أو أشتري كوبًا من القهوة من مقهى صغير، هنا يمكن أن أجد مقهى على خمسة أمتار، ومحلًا لمستلزمات الحيوانات الأليفة كل عشرة.

لماذا أشعر بحنين إلى هذه التمشية بالذات؟ الطريق الصاعد مرهق في المشي ورائحة الطحالب المطهوة الخارجة من مطاعم العجائز الصغيرة أسفل البنايات لا تشجع على النوستالجيا، لكني لا أنساها، لا أنسى دفء الأراضي الخشبية التي أخلع حذائي قبل أن أمسها، والوسائد الرفيعة التي أجلس عليها لأتناول الطعام الذي لم أستسغه يومًا. لماذا تطاردني مدينة ضعت فيها إلى اليوم؟ ربما لأنني لم أمنحها فرصة؟ لم أدعها تعرفني على خباياها، على روحها، على الأسواق الصغيرة بين البنايات، على طعم الأناناس المثلج وكعكة الأرز بالفاصوليا الحلوة؟ لم أسمح لنفسي بمداعبة الأطفال أو اقتناء كلب صغير أو عقد صداقات؟ ربما لو فعلت ذلك كله، لو كنت تعلمت اللغة، لو كنت داومت على مشاهدة برامج الطبخ الكثيرة، أو الاستماع للأغاني الصاخبة والبكاء مع المسلسلات العاطفية، لو كنت تمكنت من الإحساس بالمطر في عز الصيف، والثلج الهش قبل ذوبانه في الشتاء، أو ربما لو كنت وحيدة.. وحدة فعلية وليست مجرد مجاز.. كنت سأتمكن من النظر بعين العطف على مدينة صامدة بين محيط وجبال، ربما كنت سأنتمي إلى البيت والشارع والمقهى والحديقة.

6

عندما استيقظت من النوم شعرت بعدم

الآن أنا لا أبتسم، ولا أضع مكياجًا، شعري ملموم بتوكة قديمة وأرتدي جاكيت فوق بيجاما، أشعر بالبرد والقبح والحزن والمرارة، لكن الفيسبوك يزيِّف الحقائق ويزيِّف الحياة ويزيِّف تاريخ هذا الجيل

الارتياح، كأنني أسير بحذاء مليء بالرمال، غير قادرة على خلعه. لم أدرك لهذا الشعور سببًا، بدا وكأن شيئًا ما ناقص، أو كأن العالم من حولي صامت أكثر مما ينبغي.

وقفت أمام المرآة فلاحظت تكورًا منتفخًا في جانب عنقي، لمسته فشعرت بألم امتد إلى كتفي اليمنى، لحظات وبدأ الشدُّ في عضلات جسمي كله، وكأنني كنت أمارس رياضة عنيفة طوال الليل، تذكرت لمحات من حلم، أحاول فيه دفع باب مغلق بقدمي، كنت أركل الباب الخشبي بعزم ما فيَّ دون أن ينفتح، عجزت عن تذكر بقيَّة الحلم فأدركت أن هذا هو سر ضيقي.

جلست بجوار الشرفة أحل الكلمات المتقاطعة، بدأ الصمت في الاختفاء شيئًا فشيئًا، تسللت أصوات الشارع من الشيش الموارب؛ حركة السيارات، حديث المارة، حفيف الخطوات. علمت أنه يوم الجمعة لأن المكوجي أسفل عمارتنا غيَّر محطة الراديو من إذاعة الأغاني إلى إذاعة القرآن الكريم، جاء صوت الابتهالات من بعيد وكأنه استكمال لحلمي، كنت أحاول تشتيت نفسي حتى أنسى أنني نسيت، لكنني لم أرتح، كلما عجزت عن حل كلمة أجزُّ على أسناني، أتذكر نفسي وأنا أركل الباب، وأشعر بألم في قدمي وعضلاتي.

تذكرت بابًا آخر مغلقًا من طفولتي، بابًا أزرق صغيرًا في حوش سلم البيت القديم، بدا وكأنه منبثقٌ من الحائط الرطب، لا تجويف خلفه ولا فراغ يسمح بوجود أيِّ مساحة يقود إليها، بنايتنا ملاصقة للبناية المجاورة ولا باب في المدخل المجاور، فإلى أين يؤدي؟ ولماذا يغلقونه بقفل كبير وكأنهم يخفون شيئًا؟

الألم لم يعد محتملًا، قررت الذهاب إلى طوارئ المستشفى القريب، كان فارغًا كأن المرض يحظى بعطلته أيضًا، فحصني الطبيب جيدًا، ضغط على التكوُّر وفرد ذراعي ليفحص أسفلها، قاس الضغط والسكر وضربات القلب، ثم أخبرني أنني بخير، قال: «هذا بالبلدي حيل»، كان يضحك وهو يشرح لي أسباب ظهور الورم الناتج عن التهاب ما في جسمي، لكن الكلمة أنارت عقلي.

هكذا شعرت في الحلم، أن حيلي انهد، والباب لا يريد أن ينفتح، مع كل ركلة تتضح الصورة أكثر، لم يخفِ الباب في حوش بيتنا القديم شيئًا، كان مجرد حاجب لمواسير وعدادات مياه شقق العمارة.

عندما تذكرت الحلم اختفى الألم، انفتح الباب على سماء زرقاء غارقة بالنجوم اللامعة، أدركت أنني في غرفة طائرة بلا تحكم، لكني لم أشعر بالقلق، جلست بين جانبيِّ الباب، أسندت ظهري على جانب ورفعت ساقي اليمنى على الجانب المقابل، من بعيد كانت ثمَّة أغنية تدور:

«تشهد الأيام ع القلب المسامح
اللي عارف إن جرح الدنيا رايح
تشهد الأيام على كل اللي صانها
الليالي عارفة مين فينا اللي خانها»

كان الهواء يصطدم بوجهي لكني قادرة على التنفس، كان البيت يهتز في تحليقه كأرجوحة. وكنت مطمئنة ■

REUTERS

جرافيتي لأم شهيد على حائط بشارع محمد محمود المُطل على ميدان التحرير

ثمة نزاعات مسلحة في العالم نشهد فيها انتهاكات صارخة للقانون الدولي الإنساني، لكن مستوى الدمار الذي وقع في سورية يجعل هذا النزاع استثنائيًّا. قلبوا في الصور قليلًا، لقد كانت هناك مدنٌ نابضة بالحياة قبل أن يندلع القتال ويسويها بالأرض كحمص وحلب والرقة. عقد من العنف والوحشية سلب روح الشعب السوري وتركه أشلاء ممزقة.

الصورة قاتمة، لكن الحل موجود.

لا بديل لأن تكون الأسس الإنسانية هي الأسس التي يقوم عليها مستقبل سورية. والقانون الدولي الإنساني هو الدليل العملي لمساعدة المدنيين وحمايتهم والحفاظ على كرامتهم.

REUTERS

أبو بكر الديب**

معضلة المشروعية:

الطائرات المسيّرة وإشكاليات الامتثال للقانون الدولي*

لا ريب أن مجتمع المعلومات والتكنولوجيا لم يمهل مجتمعي القانون والسياسة كيما يقننا القواعد اللازمة لمجابهة المخالفات الجسيمة التي ترتكب عند استخدام آليات التكنولوجيا الجديدة، ومنها الطائرات المسلحة من دون طيار، فقد أزهقت هذه الطائرات أرواح الكثيرين بضغطة «زر» تحت غطاء «الحرب على الإرهاب».

تباعد المشغلين عن أهدافهم – عند استخدام الطائرات المسلحة من دون طيار [أو الطائرات المسيَّرة، أو الدرون – DRONES] – ليمثل أخطر المحاذير التي يمكن لفت الأنظار إليها، فالاستهانة بالإصابة والقتل، والطمأنينة لانعدام الدفاع والرد، بل وعدم مشاهدة المصائب التي يتكبدها المحيطون من المصابين والقتلى والسكان المحليين، كل ذلك يدفع إلى المزيد من القتل وارتفاع مستوى الانتهاكات.

وإذا بحثنا عن القانون الدولي الإنساني لوجدنا ساحة القتال قد اتسعت – لمصالح سياسية محضة – لتغطي العالم بأسره، كما أُهدرت مبادئ التمييز والتناسب، فبات قصف المدنيين من الجو – بحجة البحث عن الإرهابيين – هو الأصل، ولم يُعتد بالهجوم الذي يكتفي – في نتيجته – بالميزة العسكرية المرتجاة.

ولما كان الهجوم بواسطة الطائرات بلا طيار من الجو – في لمح البصر – قد يهدر قيمًا عديدة سواء من مبادئ القانون الدولي العام أو القانون الدولي الإنساني، الأمر الذي قد يعيد النقاش القديم حول مشروعية الحرب الجوية بعد ما تكبدت البشرية كثيرًا من المصائب من جراء الاستخدام العشوائي لسلاح الطائرات بدون طيار، على الرغم من أن هذا النقاش قد وارته نداءات الاكتفاء

REUTERS

★ الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن الرأي الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر.

★★ قاض مصري وحاصل على الدكتوراه في موضوع الإشكاليات القانونية الخاصة بالأسلحة ذاتية التشغيل

بالامتثال لقانون الحرب ككل سلاح جديد وفقًا للمادة 36 من البروتوكول الإضافي لاتفاقيات جنيف المؤرخة في 12 آب/أغسطس 1949.

تنص المادة الخاصة بالأسلحة الجديدة: «**يلتزم أي طرف سام متعاقد، عند دراسة أو تطوير أو اقتناء سلاح جديد أو أداة للحرب أو اتباع أسلوب للحرب، بأن يتحقق مما إذا كان ذلك محظورًا في جميع الأحوال أو في بعضها بمقتضى هذا الملحق «البروتوكول» أو أية قاعدة أخرى من قواعد القانون الدولي**».

تحديد المسؤولية

ومن ناحية تحديد المسؤولية، يشهد الواقع الأليم أن انتهاك قواعد المسؤولية يجري على مستويين، الأول إصدار أحكام الإعدام التعسفي من جانب شرطي العالم بغير تحديد مسؤولية المستهدفين أو من تم اصطيادهم من المدنيين، والذين اعتبروا – على الأكثر – من بين الأضرار الجانبية، ومن ناحية ثانية؛ لم نشهد من الانتهاكات التي وقعت باستخدام الطائرات المسلحة حالة تم التحقيق فيها بالشفافية اللازمة وتحديد المسؤول وجبر الضرر أو معاقبة الجاني، على الرغم من كثرة حالات الافتقار إلى الشفافية والحيطة في الاستهداف. وهكذا أضحى القتل المستهدف بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار – في نظر منفذيه – أمرًا هينًا، يبررونه بحالة الضرورة، بغير مراعاة أيٍّ من ضوابطها، إذ ينبغي أن يظل استخدام الطائرات المسلحة بلا طيار خاضعًا للقانون الدولي الإنساني، فالقول بغير ذلك – ولو لدواعي الضرورة العسكرية – من شأنه إهدار مبادئ القانون الدولي الإنساني، إذ إن استخدام الطائرات المسلحة بلا طيار مرهونٌ بتطبيق القانون الدولي الإنساني، وإذا كان مبدأ الضرورة يمكن أن يحمل على معنى أنه في كل الأحوال

هكذا أضحى القتل المستهدف بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار - في نظر منفذيه - أمرًا هينًا، يبررونه بحالة الضرورة، بغير مراعاة أيٍّ من ضوابطها

الوظيفة الأساسية والهدف للقانون الدولي الإنساني هو تقييد استعمال الأسلحة وجعل الحرب أكثر إنسانية

REUTERS

REUTERS

ليست ثمة ضرورة تقتضي توجيه الأعمال العدائية ضد غير المقاتلين من السكان المدنيين وأعيانهم، وضد الأسرى والمرضى والجرحى، وهو ما يمثل مجمل قواعد القانون الإنساني الدولي، فإن من الجدير بالتأكيد أن الضرورة – في نظرنا – لا تجيز استخدام الطائرات المسلحة بلا طيار في القتل المستهدف – احترامًا للكرامة الإنسانية وللثقة المشروعة.

فمبدأ الضرورات العسكرية يُعد بمثابة استثناء على الأحكام والقواعد العامة للقانون الدولي الإنساني، إذ تمثل الوظيفة الأساسية – والهدف لهذا القانون – تقييد استعمال الأسلحة وجعل الحرب أكثر إنسانية، وأي استثناء على تلك القواعد لا يمكن التوسع في تفسيره وإلا كان ذلك انتهاكًا لأحكام القانون الدولي الإنساني، فعند إثارة فكرة الضرورة العسكرية يجب الحذر ومراعاة المبادئ الأخرى للقانون الدولي الإنساني.

للحرب حدود

فالضرورة العسكرية – وكما تفهمها الشعوب المتمدنة المعاصرة – تقوم على الإجراءات الضرورية التي لا غنى عنها لتأمين أهداف الحرب، فمبدأ الضرورة العسكرية يقصد منه – بصورة عامة – تبرير اللجوء إلى استخدام هذا الحد من القوة اللازمة؛ لضمان إلحاق الهزيمة العسكرية بالعدو وإخضاعه بشكل سريع، وأقر إعلان سان بيترسبورغ – الذي يعود إلى عام 1868 –: «أن الهدف المشروع - الوحيد – الذي يجب أن تسعى الدول لتحقيقه أثناء الحرب هو إضعاف قوات العدو العسكرية».

كما أن التطورات التكنولوجية المتلاحقة في صنع الطائرات بلا طيار إنما تلفت النظر إلى انتهاكات محتملة يجدر بنا أن نتصدى لها، فالاستقلالية والاستهداف الذاتي الذي يحتمل أن يكون واقعًا خلال سنوات قليلة إنما يبرز أشد المخاوف صعوبة عندما تصير العلاقة مباشرة بين الإنسان وبين الآلة، مما يشير إلى آثار عديدة سواء من ناحية زيادة الانتهاكات أو قلة التبصر والحيطة من جانب متخذ القرار، بل وزيادة القتل المستهدف، فضلًا عن المباعدة بين القتل وبين المحاكمة.

وفي الأخير؛ على المجتمع الدولي أن يفعِّل المساءلة والشفافية، والامتثال للقانون الإنساني الدولي، وسن التشريعات الوطنية اللازمة لتنظيم استخدام الطائرات المسلحة بلا طيار وفقًا للقانون والتزامات الدول، بالإضافة إلى ضرورة تعظيم دور القضاء الجنائي في مواجهة الانتهاكات الجسيمة للقانون الإنساني باستخدام الطائرات المسلحة بلا طيار.

ومن نافلة القول؛ ينبغي تعزيز الدور الملموس الذي يقوم به رجالات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في نشر قواعد القانون الدولي الإنساني، وذلك بتوجيهه نحو الكشف عن الانتهاكات الجسيمة التي ترتكب بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار، والكشف عن أوجه مواجهتها وتبصير العالم بالمصائب التي تكبدتها البشرية من جراء عشوائية استخدامها في عدة مناطق في العالم.

لقد أهدرت ضوابط استخدام القوة المسلحة، فهل جرى التحقق من مشروعية استخدام القوة؟ وهل اكتُفي بالقوة اللازمة لتحقيق أغراض استخدامها؟

علينا أن نتذكر أن ميثاق الأمم المتحدة يحظر – على الإطلاق – استخدام الأسلحة المستقلة الفتاكة، ومن ثم نحذر من الانسياق – من قبل الدول – وراء التطوير في تكنولوجيا الطائرات المستقلة، وننبه أيضًا للفظائع التي قد تتكبدها الإنسانية من جراء نشر الأسلحة الآلية المستقلة عمومًا والطائرات المستقلة خصوصًا.

وفي الختام، يمكن استثمار قواعد الميثاق الواردة في المادة 4/2 في وضع ضوابط لاستخدام القوة بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار، تتمثل في:– أن تؤدي القوة المستخدمة بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار – بطريقة مباشرة – للإخضاع الكامل أو الجزئي للعدو، و– إمكانية السيطرة على القوة المستخدمة بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار، بمعنى عدم فقد السيطرة عليها منذ بدء استخدامها، بحيث يتحقق من وراء فقد السيطرة عليها خسائر زائدة عن الحاجة، و– أن لا تزيد القوة المستخدمة بواسطة الطائرات المسلحة بلا طيار – من حيث تأثيرها – عن الحاجة لإخضاع العدو.

وبالإضافة إلى ذلك؛ يجب أن تستوفي الدولة – التي تقول إنها تتصرف دفاعًا عن النفس – الشرطين المزدوجين المستمدين من القانون الدولي العرفي المتعلقين بالضرورة والتناسب، فهذان الشرطان على نحو ما حددا في سياق استخدام القوة بين الدول مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالمعنى المقصود من وصف تصرف ما بأنه يشكل عملًا مشروعًا من أعمال الدفاع عن النفس، ومن ثم، فإن الضرورة والتناسب يعنيان أن الدفاع عن النفس يجب ألا يكون عملًا انتقاميًا أو عقابيًا، وينبغي أن يكون الهدف منه وقف هجوم وصده، فالإجراءات التي تتخذ على نحو مشروع – دفاعًا عن النفس – كاستخدام طائرات مسيرة لاستهداف أفراد في أراضي دولة أخرى يجب أن تهدف إلى وقف اعتداء مسلح وصده، ويجب أن تكون – في آنٍ واحد معًا – ضرورية ومتناسبة لتحقيق ذلك الغرض ■

ICRC

نائب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر جيل كاربونييه:

جائحة كوفيد - 19 لم تمنعنا من تنفيذ

■ **الإنساني: يعاني العالم أجمع الآن من جائحة كوفيد–19 وما لها من أثر صحي واقتصادي، فإلى أي مدى ترى تأثير ذلك أيضًا على عملنا في المجال الإنساني وكذلك على الضحايا في المناطق التي تستعر فيها النزاعات؟**

كاربونييه: مر أكثر من عام على أزمة كوفيد–19 بما تفرضه من صعوبات إضافية. وإذا ما نظرنا إلى كوفيد–19 فبطبيعة الحال يمكننا رؤية الأثر الصحي المباشر الذي ينعكس على الصحة العامة وعلى المنظومة الصحية ويفرض عليها ضغوطًا كبيرة.

وأنا أرى أن اللجنة الدولية بذلت جهدًا كبيرًا بالتعاون مع شركائنا داخل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر (الحركة) والجمعيات الوطنية والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر (الاتحاد الدولي) سعيًا وراء تقديم الدعم للمنظومات الصحية التي يتعين عليها التصدي لهذه الأزمة.

لكن من ناحية أخرى نحن أمام أثر غير مباشر يظهر في صورة أزمة اقتصادية واجتماعية. فالأزمة الاقتصادية تؤدي لانكماش اقتصادي وهو ما يترجم إلى فرص توظيف أقل وفرص تحصيل دخل أقل بالنسبة للمتضررين، واستضعاف أكثر للناس، فيتعذر عليهم بلوغ ما يمكِّنهم من العيش بحد الكفاف. وهذا بطبيعة الحال يضاعف الاحتياج للمساعدات كما يزيد من مخاطر الاضطراب الاجتماعي.

وأرى أن هذا وضع يجب أن ننظر فيه بعناية شديدة في الشهور المقبلة. ونحن نأمل بالطبع مع بدء تعاطي اللقاحات أن نتمكن من تقليل الضغوط التي يعاني منها المتضررون من الأزمة.

حتى ذلك الوقت، أود أن أسلط الضوء على نقطة أخرى، وهي أن هذه الجائحة أثرت على كل فرد منا، ليس على المستوى الشخصي فحسب، وإنما أيضًا على مستوى عائلاتنا ومجتمعاتنا المحلية. فجميعنا تأثر من جراء الجائحة بقدر ما ولكن ليس بالطريقة ذاتها.

والذين كانوا مستضعفين أصلًا قبل الجائحة عانوا بدرجة أكبر بكثير في ظل الأزمة لأنهم لا يتمتعون برعاية صحية قوية، وهم في الأصل في وضع خطير ويفتقرون إلى آليات التأقلم لامتصاص الصدمة الاقتصادية الناجمة عن قيود الإغلاق والأزمة الاقتصادية. وهكذا أقول إن هذه الظروف ربما فاقمت صور التفاوت، وفاقمت صور الاستضعاف بالنسبة للمتضررين.

ولعل النقطة الأخيرة التي أود أن أذكرها هي أننا بالطبع نقدر العاملين في المجال الإنساني والعاملين في المجال الصحي، فنحن نقدر التزام 20 ألف زميل داخل اللجنة الدولية وكذلك كل المتطوعين في الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وجميع موظفي الرعاية الصحية الذين يظهرون أعلى درجات الالتزام على الرغم من الضغوط التي يواجهونها في ما يتعلق بالتحديات التي يتعين عليهم مواجهتها.

■ **الإنساني: ماذا عن الآثار غير المرئية للجائحة؟**

كاربونييه: في ما يتعلق بالصحة النفسية

ICRC

كاربونييه (الثاني من يمين الصورة) أثناء زيارة إلى مدينة نينوى العراقية في العام 2019

90 في المائة من أنشطتنا في الميدان

حاورته: **زينب غصن***

مقتطف من حوار أجريناه مع جيل كاربونييه، نائب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، نناقش الوضع الحالي للعمل الإنساني في الشرق الأوسط والتحديات التي تواجهها المنظمات الإنسانية مثل اللجنة الدولية في مناطق النزاعات الممتدة وفي مجال العمل الإنساني بوجه عام، مع شرح للتحديات التي واجهتها اللجنة الدولية اقتصاديًّا وصحيًّا واجتماعيًّا أثناء جائحة كوفيد-19 والإنجازات المحققة في ظل الأزمة العالمية.

نحن نرى أن الجائحة لها أثر بالغ. فليس كبار السن وحدهم هم المتضررون والأكثر تعرضًا للخطر بل أيضًا الشباب والمراهقون الذين قيدت تحركاتهم فلم يستطيعوا استئناف دراستهم. لذا يجب أن نكون مهتمين للغاية برعاية بعضنا البعض وحذرين بشأن هشاشة مجتمعاتنا وداعمين لبعضنا البعض فيما يتعلق بالصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي.

■ **الإنساني: كيف أثرت الجائحة على المنظمات مثل اللجنة الدولية أو مجال العمل الإنساني بوجه عام، وهل سنعود إلى عالم ما قبل كوفيد-19 عند نقطة معينة؟ هل من الممكن أن نعود إلى ما كنا عليه، أم أننا سنبدأ أسلوبًا مختلفًا في ما يتعلق بطريقة عملنا في المستقبل؟**

كاربونييه: هناك العديد من الآثار على المنظمات الإنسانية مثل منظمتنا. يتمثل التحدي الأول في الاستمرار في تنفيذ عملياتنا المعنية بإنقاذ الأرواح. وعلى الرغم من قيود الإغلاق وحالة الطوارئ استمرت اللجنة الدولية في تنفيذ هذه العمليات، ولكم سعدت عندما رأيت أننا بنهاية 2020 تمكنَّا من تنفيذ نحو نسبة 90 في المائة من أنشطتنا. معنى هذا أننا استطعنا تحقيق نحو 90 في المائة من الأهداف التي خططنا لها، وأننا نجحنا في الحفاظ على تقديم الخدمات خلال الأزمة.

وبطبيعة الحال فنحن أعدنا توجيه بعض أنشطتنا بهدف دعم الهياكل الصحية والخدمات الصحية، وكذلك تقديم مساعدات مباشرة لفئتين من الناس على وجه التحديد تواجهان خطرًا، هما: المحرومون من حريتهم، أي المحتجزون؛ لأنهم يعيشون في سجون وأماكن احتجاز يغلب عليها الاكتظاظ، ومن المستحيل الحفاظ على التباعد الاجتماعي فيها، بل في بعض الأحيان لا يحصل هؤلاء على المياه والصابون لغسل أيديهم.

فما فعلناه هو أننا تدخلنا على الفور لتقديم الدعم لأماكن الاحتجاز بهدف تقديم أدوات النظافة الشخصية ومعدات وأدوات التطهير لتجنب تفشي كوفيد-19 والحيلولة دون انتشاره داخل السجون. وينطبق المثل على أماكن أخرى تتسم بالاكتظاظ مثل مخيمات النازحين واللاجئين حيث كان من الأولويات، السعي إلى تقديم خدمات طبية بغرض التصدي لهذه الحالة الطارئة.

والتحدي الآخر بالنسبة للمنظمات الإنسانية هو في التمويل. فمن ناحية فاقمت الجائحة الاحتياج للمساعدات بالنسبة لغالبية المجتمعات المحلية الأشد هشاشة، فقد رأينا الاحتياجات تزداد ونحن يلزمنا أن نطور استجابتنا. وفي الوقت نفسه، يواجه المانحون الرئيسيون قيودًا على ميزانياتهم، أولًا لأن الاقتصادات عانت في الغالب تحت وطأة الجائحة بسبب الإغلاق، فنمو الناتج المحلي عند بعض من مانحينا الرئيسيين سجل بالسالب، ومنهم من وصل إلى سالب 10 في المائة في عام واحد. وثانيًا، بعض مانحينا الأساسيين أعادوا توجيه بعض أموالهم من المساعدات الخارجية إلى مساعدات داخلية.

فنحن أمام هذا الموقف الصعب لا بد أن نبذل مزيدًا من الجهد لكي نستجيب لاحتياجات أكبر، ولكن في الوقت نفسه نرى أن مانحينا يحذرون من أنها ستكون مسألة صعبة بالنسبة لهم أن يحافظوا على تقديم دعمهم.

لذا نحن مضطرون إلى البحث عن موارد تمويل بديلة من خلال المانحين الطارئين ومن خلال الشراكة مع وكالات التنمية والشراكة مع موارد تمويل أخرى. قد تساعدنا هذه الحلول على تنويع مصادر تمويلنا حتى نتمكن من الاستجابة للاحتياجات.

■ **الإنساني: كيف ترى مسألة توزيع اللقاح والسياسات المختلفة التي نراها بين الجنوب والشمال، ونحن نشهد هذا النوع من التمييز بين الشمال والجنوب أو بين منطقة وأخرى، بل وفي بعض البلدان على مستوى الشرائح الاقتصادية المتباينة؟**

كاربونييه: أرى أنه في حالة الجائحة الكونية التي نشهدها لا غنى عن التضامن العالمي. ولقد سمعنا هذه الجملة مرارًا وهي تنطق بالحق: «ما من أحد سيكون سالمًا ما لم يكن الجميع سالمين». لذلك من المهم التأكد من أن توزيع اللقاح يتم بالتساوي بين البلدان وكذلك داخل كل بلد على حدة.

من أجل ذلك دعونا في الحركة إلى توزيع عادل للقاحات على المستوى العالمي وكذلك قدمنا خدماتنا داخل كل بلد لمساعدة السلطات في تقديم اللقاحات لأشد السكان تعرضًا للتهميش والمستضعفين وفي الأماكن التي يصعب الوصول إليها وفي الأماكن التي تعمل فيها اللجنة الدولية يوميًّا.

هذا جهد يتعين علينا بذله. وأظن أننا نرى اتجاهين؛ الأول وهو الاتجاه القومي في التلقيح. وبالطبع كل بلد وكل حكومة يتعين عليها أن ترعى سلامة وأمن وصحة مواطنيها. ونحن نتفهم ذلك بالتأكيد. ولكن في الوقت نفسه يجب أن نناقش الدول ونشركها في الحوار حتى نضمن حصول أكثر المستضعفين على اللقاحات بأسرع وقت ممكن. فنحن نرى وجود آليات مختلفة توضع بهدف تحسين إنتاج اللقاحات أولًا على مستوى العالم وثانيًا لإتاحة اللقاحات لأكثر المستضعفين بأسرع وقت ممكن ■

* رئيسة تحرير مجلة «الإنساني»

أصدرت اللجنة الدولية مؤخرًا التعليقات المحدَّثة للجنة الدولية على اتفاقية جنيف الثالثة، مقدمة تحديثًا وتفسيرًا معاصرًا لتدابير الحماية الفعلية الأساسية المنصوص عليها في الاتفاقية الثالثة.

AFP

أداة جديدة للحماية:

صدور التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة بشأن أسرى الحرب

هذه التعليقات هي آراء اللجنة الدولية وكذلك خبراء وفقهاء للقانون الدولي حول أحكام اتفاقيات جنيف الأربع التي صدرت في العام 1949. ومنذ إقرار هذه الاتفاقيات، ونظرًا للأهمية البالغة لأحكامها، انبرت مجموعة من الخبراء القانونيين التابعين للجنة الدولية للصليب الأحمر، الذين شاركوا في صياغة تلك الاتفاقيات وفي المفاوضات التي جرت بشأنها، في كتابة تعليق تفصيلي على كل حكم من أحكامها (أكثر من أربعمائة مادة). وكانت النتيجة هي صدور تعليقات على الاتفاقيات الأربع فيما بين عامي 1952 و1960. وعلى مر السنين، صارت هذه التعليقات مرجعًا رئيسيًّا لتطبيق اتفاقيات جنيف وتفسيرها.

ولكن، وكما تقول اللجنة الدولية، فإنه ومع مرور الوقت وتزايد التحديات على صعيد النزاعات المسلحة وكذلك معضلات حماية المدنيين في هذه النزاعات، ظهرت الحاجة إلى تحديث هذه التعليقات من أجل توثيق وتحليل وتفسير التطورات المعاصرة في العمليات القتالية.

مشروع طموح

ومنذ العام 2011، شرعت اللجنة الدولية في مباشرة مشروع طموح لتحديث التعليقات التي صدرت في الخمسينيات والستينيات. وخلال خمس سنوات صدر التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الأولى في العام 2016، ثم صدر التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثانية في العام 2017. وفي العام الماضي، صدر التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة.

وتحمي اتفاقية جنيف الثالثة أفراد القوات المسلحة وغيرهم من الأشخاص من فئات محددة ممن يقعون في قبضة العدو في زمن النزاعات المسلحة. وتشدد الاتفاقية بصرامة على أنه لا يجوز معاقبة أسرى الحرب لمجرد مشاركتهم في الأعمال العدائية؛ واحتجازهم ليس عقوبة بل إجراء يُتوخى به الحيلولة دون مشاركتهم في مزيد من الأعمال العدائية.

والاتفاقية تحدد بوضوح عددًا من مبادئ الحماية الأساسية الملزمة التي تنطبق على جميع أسرى الحرب، كوجوب معاملة أسرى الحرب في جميع الأوقات معاملة إنسانية، مع احترام شخوصهم وصون شرفهم، ومعاملتهم على قدم المساواة دون تمييز. وهذه المبادئ تكملها بتفصيل – غير مسبوق وقت صدور الاتفاقية – أحكامٌ تنظم معاملة أسرى الحرب، وتشمل أحكامًا متعلقة ببدء الأسر، وتقديم الاحتياجات الأساسية للسجناء، ونقل السجناء، واستخدام عمل السجناء، وفرض إجراءات تأديبية أو قضائية، والإفراج النهائي عن السجناء وإعادتهم إلى أوطانهم.

ما الجديد؟

وكتب أربعة خبراء في مقال مفصل عن التعليق المحدَّث: «**تطلَّب تحديث التعليقات على كل مادة من مواد اتفاقية جنيف الثالثة البالغ عددها 142 النظرَ في مجموعة عريضة من المسائل التاريخية والقانونية** •••

REUTERS

أسرى حرب يابانيون في العام 1904 خلال الحرب الروسية اليابانية

AFP

والعسكرية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية. وكما هي الحال مع التعليقات المحدَّثة على اتفاقيتي جنيف الأولى والثانية، تضمن تطوير التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة جهدًا تعاونيًّا، بإسهامات من محامين تابعين للجنة الدولية للصليب الأحمر ومن خارجها، ومتخصصين ذوي خبرة في موضوعات بعينها (بمن في ذلك الأفراد العسكريون وموظفو الحماية المتخصصون في الاحتجاز، والأكاديميون)، وغيرهم. بالإضافة إلى ذلك، استفاد إعداد هذا التعليق من قدرة اللجنة الدولية على الاعتماد على السجلات الأرشيفية لعملها في زيارة أسرى الحرب على مدى السنوات السبعين الماضية*».

وعلى الموقع الإنجليزي للجنة الدولية، مدخل كامل وسهل التصفح لكل المواد الخاصة بالاتفاقية والتعليق المحدَّث الذي يضم أيضًا «**عملية استعراض الأقران**» أي آراء مجموعة تضم 50 خبيرًا من خارج اللجنة الدولية، من الجامعيين والممارسين الذين استعرضوا كل التعليقات بصفتهم الشخصية، وأُدرجت تعليقاتهم في مشاريع النصوص.

وكان التعليق على اتفاقية جنيف الثالثة قد صدر في نهاية الخمسينيات. ويقول خبراء إنه من الطبيعي أن العقود الستة الماضية شهدت الكثير من التطورات في مجال القانون وفي طريقة فهم كيف تُخاض النزاعات المسلحة، وأشكال الحماية اللازمة للأفراد.

وتقول هيلين دورهام، مديرة دائرة القانون الدولي والسياسات الإنسانية في اللجنة الدولية: «**لقد رأينا في الـ60 عامًا الماضية ارتفاعًا كبيرًا في عدد النساء اللواتي يشاركن في العمليات العدائية. لذا، ستجدون في هذا التعليق المحدَّث، جزءًا مفصلًا بمزيد من الوضوح عن موضوع النساء من أسرى الحرب، وخاصة حمايتهن ومسائل ترتبط بالخصوصية مثلًا**».

وتمثل التعليقات المحدَّثة أداة توجيهية للممارسين الذين عليهم تطبيق اتفاقية جنيف الثالثة وتفسيرها، من الدول عمومًا والدبلوماسيين، وأعضاء القوات المسلحة، وأيضًا واضعي السياسات والأشخاص المعنيين بتحسين فهمهم للقانون الدولي الإنساني.

وتقول إيلينا ميلسانكو، وهي مندوبة متخصصة في القوات المسلحة وقوات الأمن في بعثة اللجنة الدولية في مالي: «**التعليقات أداة مفيدة جدًّا تساعد القادة العسكريين، وعناصر الجيش على أن يفهموا بدقة ما ينبغي فعله لاحترام القانون الدولي الإنساني والالتزام به اليوم**».

وتستهدف اللجنة الدولية نشر هذه التعليقات على أوسع نطاق بين صفوف المقاتلين بهدف تقليل التفسير الخاطئ للاتفاقيات، ومن ثم ضمان حماية أكبر للفئات التي يحميها القانون الدولي الإنساني.

وتضيف ميلسانكو: «**لم أقابل يومًا أي قائد عسكري، أو أي جندي، قال لي «كلَّا، لن أمتثل للقانون الدولي الإنساني لأنني «ضده»». كلَّا، هذا لم يحدث قط، لكنني قابلت الكثيرين الذين قالوا لي: «حسنًا، هذا واضح، لكن ماذا عليَّ أن أفعل عمليًّا في الميدان؟»**»■

تضمن تطوير التعليق المحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة جهدًا تعاونيًّا، بإسهامات من محامين تابعين للجنة الدولية للصليب الأحمر ومن خارجها

* جيما أرمان، وجان-ماري هنكرتس، وهيلين هيمسترا، وكفيتوسلافا كروتيوك، التعليق المحدَّث للجنة الدولية للصليب الأحمر على اتفاقية جنيف الثالثة: أداة جديدة لحماية أسرى الحرب في القرن الحادي والعشرين، المجلة الدولية للصليب الأحمر (2020)، 102 (913)، 389–416مع مرور الوقت وتزايد التحديات على صعيد النزاعات المسلحة، ظهرت الحاجة إلى تحديث هذه التعليقات من أجل توثيق وتحليل وتفسير التطورات المعاصرة في العمليات القتالية

أحمد الداودي*

REUTERS

التعليق على اتفاقية جنيف الثالثة:

معاملة أسرى الحرب من منظور إسلامي

بينما يُعد التصديق على اتفاقيات جنيف عالميًّا ظاهرة حديثة نسبيًّا، إلا أن الحرب كانت تخضع دومًا لمبادئ وأعراف محددة. وبالنظر إلى أن ثلثي النزاعات المسلحة الدائرة في العالم في الوقت الراهن تقع في سياقات تتضمن أطرافًا من المسلمين، وإذ يستشهد بعض حاملي السلاح بأحكام الشريعة الإسلاميَّة كمرجع لتسويغ سلوكهم، يستكشف هذا المقال النصوص الدينية لإيجاد رؤية متعمقة بشأن معاملة أسرى الحرب.

* المستشار القانوني لشؤون الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي باللجنة الدولية للصليب الأحمر

هناك قاعدة فقهية أصولية يسميها الفقهاء المسلمون «الحُكْمُ يَدُورُ مَعَ عِلّتِه». وبعبارة أخرى، يمثل القانون صكًّا حيًّا يجب أن يتطور استجابة للتغيرات التي تطرأ على تطبيقه أو تفسيراته، التي قد تحول دون تحقيق غاياته.

تبادر هذا المبدأ إلى ذهني عندما استعرضت تعليق اللجنة الدولية المُحدَّث على اتفاقية جنيف الثالثة، وهو جزء من مشروع يهدف إلى الحفاظ على الحماية التي توفرها اتفاقية جنيف الثالثة لأسرى الحرب في النزاعات المسلحة الدولية في ضوء الأوضاع الراهنة الناشئة عن والمتعلقة بالنزاع المسلح والاحتجاز. وعند المقارنة بين هذين النظامين من نظم القانون ودراستهما: الشريعة الإسلامية، والقانون الدولي الإنساني، برزت قضيتان رئيسيتان تتصلان بحماية أسرى الحرب وهما: المعاملة الإنسانية، التي يتقارب بشأنها كلا النظامين إلى حد التوافق، وقضية قتل أسرى الحرب، التي تؤول بعض التفسيرات فيها إلى افتراقهما.

المعاملة الإنسانية

المبدأ الأساسي الذي ترتكز عليه اتفاقية جنيف الثالثة هو وجوب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات، كما هو مبين في المادة 13 والعديد من مواد الاتفاقية الأخرى. وبخلاف الأمثلة المنصوص عليها والواردة في المادة 13 - مثل التسبب في الوفاة، وتعريض الصحة للخطر، والترهيب، والإهانة - فإن أي شكل آخر من أشكال المعاملة اللاإنسانية أو المهينة يُعد انتهاكًا لهذا المبدأ الأساسي.

وتستند معظم قواعد الشريعة الإسلامية ذات الصلة بمعاملة أسرى الحرب إلى السوابق الأولى، والتي تعود إلى آذار/ مارس من العام 624 الميلادي، عندما أسر المسلمون سبعين رجلًا من مقاتلي الأعداء في معركة بدر. وفي ظل عدم وجود تشريع خاص بشأن الوضع القانوني لأسرى الحرب أو وجود أماكن احتجاز معدَّة لهم، شكل إيواء هذا العدد الكبير نسبيًّا من أسرى الحرب تحديًا كبيرًا. ولكن بدلًا من اللجوء إلى الخيار الأسهل والذي يحتمل أن يكون أقل إنسانية؛ مثل تركهم مقيدين في العراء، احتُجزت مجموعة من السبعين أسيرًا في المسجد ووُزِّع الباقي على صحابة النبي محمد ليقيموا معهم في بيوتهم. وقد أمرهم الرسول بحسن معاملة الأسرى في قوله: «استوصوا بالأسارى خيرًا».

وقد وثَّق القرآن وكتب السيرة العديد من الأمثلة على المعاملة الإنسانية التي لقيها أسرى الحرب على يد صحابة النبي محمد امتثالًا لهذا التوجيه. على سبيل

•••

المثال، فيما يتعلق بالطعام، روى بعض الأسرى كيف كان المسلمون يقدمون أفضل الطعام المتاح آنذاك لهم بل ويفضلونهم على أنفسهم إعمالًا لتعليمات الرسول. وقد وصف القرآن هذا الإيثار في التعامل على النحو التالي: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (سورة الإنسان، الآية 8). وبعد مرور قرون من الزمان، عندما عجز صلاح الدين الأيوبي (المتوفى عام 1193 م) عن إطعام العدد الكبير الذي وقع في يديه من الأسرى عند استرداده بيت المقدس، أحس أن لا خيار أمامه سوى إطلاق سراحهم [1].

روى بعض الأسرى كيف كان المسلمون يقدمون أفضل الطعام المتاح آنذاك لهم بل ويفضلونهم على أنفسهم إعمالًا لتعليمات الرسول

AFP

قتل أسرى الحرب

على الرغم من الأهمية الواضحة التي توليها الشريعة الإسلامية للمعاملة الإنسانية، انقسمت الآراء بشأن ما إذا كان من الجائز قتل أسرى الحرب. إذ استند الفقهاء المسلمون القدامى إلى واحدة من آيتين قرآنيتين (سورة محمد، الآية 4) أو (سورة التوبة، الآية 5)، وكذلك إلى السنة النبوية (الحديث).

واستندت جماعة الفقهاء المسلمين الأوائل، من بينهم ابن عباس (المتوفى عام 668 م)، وعبد الله بن عمر (المتوفى عام 693 م)، والحسن البصري (المتوفى عام 728 م)، وسعيد بن جبير (المتوفى عام 714 م) في رأيهم إلى آية سورة محمد، ورأوا أن حكم الأسرى في الإسلام هو المنُّ (إطلاق سراح أسرى الحرب من غير مقابل) أو فداؤهم مقابل أسرى المسلمين، وهو الرأي الذي لا يتعارض مع اتفاقية جنيف الثالثة.

ومع ذلك، ذهب جمهور الفقهاء القدامى، بمن في ذلك الشافعية والمالكية والحنابلة وكذلك الأوزاعي (المتوفى عام 774 م) وسفيان الثوري (المتوفى عام 778 م)، إلى أن للحاكم أن يختار - حسبما تقتضي المصلحة - إما أن يقتل بعض الأسرى أو كلهم، أو أن يسترقَّهم، أو أن يطلق سراحهم، أو أن يفتديهم بأسرى مسلمين.

وبخلاف إطلاق سراح أسرى الحرب، فإن الخيارات الأخرى - والتي تعكس أعراف القرنين السابع والثامن - تنتهك بوضوح المعايير المعاصرة للقانون الدولي الإنساني المنصوص عليها في اتفاقية جنيف الثالثة. ومع ذلك، فقد استشهد بعض حاملي السلاح، على سبيل المثال، مؤخرًا بهذه الآراء لتبرير قتل الأسرى الخاضعين لسيطرتهم.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن إباحة قتل الأسرى في الشريعة الإسلامية، عند من قال بهذا الرأي من الفقهاء، قد بُني على ما ورد عن قتل ثلاثة فقط من أسرى مقاتلي الأعداء في حياة النبي: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط في معركة بدر في آذار/ مارس في عام 624 م؛ وأبو عزة الجمحي في معركة أحد في آذار/ مارس عام 625 م.

وبتجاوز الخلاف عن صحة هذه الروايات، وسواء قُتل هؤلاء الأسرى أثناء القتال في ميدان المعركة أم بعد أسرهم، فمن الواضح أن اختيار هؤلاء الأفراد الثلاثة دون غيرهم من الأسرى كان بسبب ما ارتكبوه من جرائم ضد المسلمين في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، وليس لمجرد كونهم أسرى حرب. لذلك، يمكننا أن نخلص في كلامنا

رسم من مخطوطة «الحيوان» للجاحظ، رسمت في مصر أو سورية إبان العصر المملوكي، في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي محفوظة في دار الكتب بميلانو

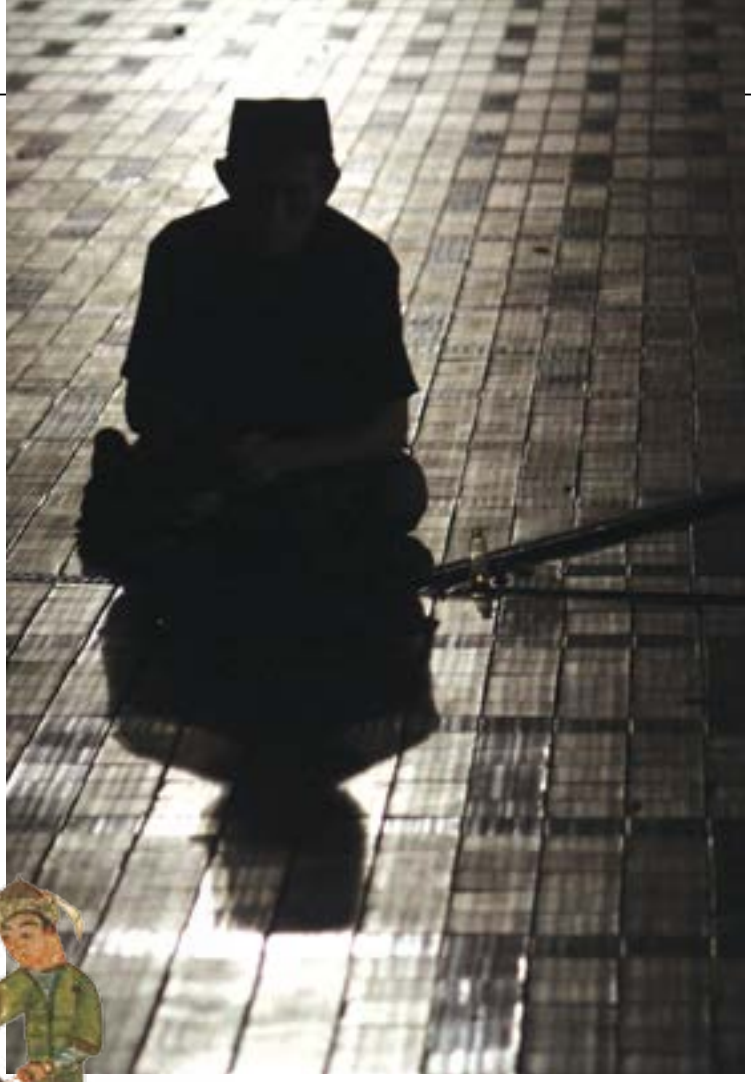

AFP

تشكل اتفاقية جنيف الثالثة، شأنها شأن أي معاهدة ينضم إليها المسلمون بشكل قانوني، إطارًا قانونيًّا ملزمًا ليس فقط من منظور القانون الدولي ولكن أيضًا من منظور الشريعة الإسلامية

عن هذه المسألة إلى أن القراءة الأمثل للشريعة الإسلامية فيما يتعلق بإباحة أو تحريم قتل أسرى الحرب - من حيث كونهم أسرى حرب - أنها تحظره، وهي القراءة التي تضمن نفاذ الواجب الأعم بالمعاملة الإنسانية والمنصوص عليها بوضوح في الشريعة الإسلامية.

إطار شامل

تمثل اتفاقية جنيف الثالثة الإطار القانوني الأكثر شمولًا لنظامنا القانوني الدولي الحديث عندما يتعلق الأمر بحماية أسرى الحرب، ولكن دراسة هذه الاتفاقية وحدها قد لا تقدم إجابات لجميع التحديات المعاصرة التي نواجهها في مسألة الاحتجاز اليوم. ويجب عدم غض الطرف عن القواسم المشتركة والتعارض بين أحكام اتفاقية جنيف الثالثة وغيرها من الأطر القانونية والتقاليد التي تؤثر على سلوك حاملي السلاح.

وتشكل اتفاقية جنيف الثالثة، شأنها شأن أي معاهدة ينضم إليها المسلمون بشكل قانوني، إطارًا قانونيًّا ملزمًا ليس فقط من منظور القانون الدولي، ولكن أيضًا من منظور الشريعة الإسلامية. إذ إن الوفاء بالعهود التزامٌ واجبٌ على المسلمين كافة، كما يمليه القرآن الكريم في (سورة البقرة، الآية 40 والآية 177؛ وسورة آل عمران، الآية 76؛ وسورة المائدة، الآية 1؛ وسورة النحل، الآيات 91–94؛ وسورة الإسراء، الآية 34)، وكما بينت السنة النبوية.

ولا تؤثر أي تعارضات بين اتفاقية جنيف الثالثة والقواعد التي وضعها الفقهاء المسلمون القدامى على الطبيعة الملزمة للاتفاقية أو تأثير قواعدها الآمرة. إذ حظيت اتفاقية جنيف الثالثة بالتصديق عليها عالميًّا، ما يعني أن جميع دول العالم، بما في ذلك جميع الدول ذات الأغلبية المسلمة، وافقت على الالتزام بقواعدها، ومن ثم فإن المسلمين ملزمون باحترام أحكامها وفقًا للشريعة الإسلامية. وينبغي ألا ينظر إليها على أنها محل جدل حتى بالنسبة لأكثر علماء المسلمين تحفظًا، إذ لا يوجد شيء في اتفاقية جنيف الثالثة يتعارض مع المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية ■

الرسم أعلاه ورسم الفارس على حصانه في صفحة 47 من رسوم مخطوطة «المخزون جامع الفنون» في الفروسية والحيل الحربية، ألفه ابن أخي خزام في القرن الخامس عشر الميلادي، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس

[1] دليلة مباركي، ضوابط العلاقات الدولية في الإسلام زمن الحرب، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر، السنة الرابعة، العدد التاسع، تموز/ يوليو 2004. صفحة 206.

نُشر هذا النص في الأصل بالإنجليزية في مدونة «القانون الإنساني والسياسات» المعنية بالنقاش حول التحديات المعاصرة لقانون الحرب. وقد نقله إلى العربية عاطف عثمان. رابط: https://blogs.icrc.org/law-and-policy/2021/01/26/gciii-commentary-islamic/ç

مسيرة مهنية تُوجت بوسام فلورانس نايتنغيل الممرضة وحيدة غلاييني:

نحن لسنا ملائكة رحمة لكننا صوت من لا صوت لهم

برز اسم وحيدة غلاييني كناشطة في مجال الصحة العامَّة، والتعليم التمريضي في حالات النزاع والكوارث. المسيرة التي استهلتها غلاييني كمتطوعة صغيرة السن خلال الحرب الأهلية اللبنانية، تُوجت بالحصول على جائزة دولية رفيعة المستوى وهي «وسام فلورانس نايتنغيل» تقديرًا لجهودها في تطوير التمريض في بلدها لبنان، وكذلك لما تتمتع به من قيم النزاهة والاستقلالية في العمل الطبي.

الممرض هو المحامي الأول للمريض، والمُطالب الأوَّل بحقوقه، والمُدافع عنها، فالمريض يسلِّم أمره للممرِّض فور دخوله المستشفى، مما يخلق علاقة وطيدة، ومليئة بالتعاطف والاهتمام.

يعود الفضل الأكبر في اختياري لمهنة التمريض إلى والدي الذي عرَّفني على [جمعية] الصليب الأحمر اللبناني في الثمانينيات في أوج الحرب الأهليَّة اللبنانيَّة [1975–1990]. كنت ما أزال تلميذة في المدرسة حين شجَّعني على الانخراط في مجال التطوَّع على الرغم من التشديدات الاجتماعيَّة والأمنيَّة. كنت قد فقدت أخي عندما كان في عمر السادسة والعشرين نتيجة خطأ طبِّي، وكنت متأثِّرة بقصته، فأردتُ خوض هذه المغامرة، لأكون المدافع الأول

ICRC

عن وسام فلورانس نايتنغيل

أنشأت اللجنة الدولية وسام «فلورانس نايتنغيل» قبل قرن من الزمن. وهو أعلى وسام دولي يمكن أن يُمنح للممرضين والممرضات، وهو بمثابة تقدير واعتراف بالعمل الضخم الذي يقوم به الممرضون، والممرضات، والمساعدون في مجال التمريض على مدار السنوات في ظلِّ ظروف شديدة الصعوبة، في حالات النزاع، والكوارث الطبيعية، وحالات الطوارئ الأخرى.

وفلورانس نايتنغيل (1820–1910) هي مؤسِّسة علم التمريض الحديث، كرست حياتها لتطوير الخدمات الصحية المقدمة للناس لا سيما الجنود المصابين في الحروب. وقد أطلق عليها الممرضة «حاملة المصباح»، في إشارة إلى المصباح الذي كانت تحمله ليلًا فيما هي تتفقد حال الجنود المصابين في حرب القرم منتصف القرن التاسع عشر.

عن حقوق المريض، ولأضع كل جهودي لرفع صوت الذين لا صوت لهم.

حُبُّ التطوع ومساعدة الغير، خصوصًا خلال فترة الحرب اللبنانية، كانا المولِّد الأساسي لانخراطي في مجال الإسعاف والتمريض.

قدَّمت طلبًا إلى كليَّة التمريض في الجامعة الأمريكية في بيروت، ولكن بسبب ظروف الحرب تأخَّر قبول طلبي، ولتفادي ضياع الوقت، تسجلت في كليَّة التمريض في الجامعة اللبنانية التي كان مركزها في الصليب الأحمر اللبناني آنذاك، وكانت أول مدرسة تمريض في لبنان.

خلال عامي الأول، دفعني حبُّي للمساعدة والتطوُّع إلى البدء في العمل مع المسعفين على الرغم من أنَّني لم أكن مسعفة بعد. عملت على تطوير قدراتي، وبرزت لأصبح مسؤولة تدريب في منطقةٍ في بيروت. كما ساهمت أيضًا في افتتاح أحد المراكز التي تُعنى بتدريب الشبَّان والشابَّات على الإسعافات الأولية، وذلك بالتوازي مع إتمامي لدراستي. عند إنهاء الدراسة، طُلب مني البدء بالتدريس في كليَّة التمريض في الجامعة اللبنانية، ولكنني رفضت ذلك لأنني أردت أن أكسب خبرة في العمل التمريضي الميداني، فالتحقت بمستشفى البربير في بيروت التي عرضت عليَّ مركزًا وظيفيًّا مغريًا لي كمبتدئة وهو «رئيسة قسم»، وحافظت على عملي كمتطوعة ومسعفة ومدرِّبة في الصليب الأحمر اللبناني. بعد مستشفى البربير، انتقلت إلى مستشفى الشرق الأوسط حيث شغلت مركز رئيسة قسم التمريض وبقيت هناك لفترة سنتين.

واجهت مستشفى الشرق الأوسط الكثير من التحدِّيات والمشاكل التي أثَّرت على العمل وبالأخص بسبب بعض التدخلات السياسية، فقرَّرت حينها أن أبحث عن فرص أخرى. كان حينها مستشفى جبل لبنان قيد الإنشاء، وطُلب منِّي أن أذهب لمقابلة مؤسِّس المستشفى، فذهبت، وسرعان ما

حوار: **لين حماصني***

اتصل بي في اليوم التالي طالبًا مني البدء بالعمل مباشرةً كرئيسة قسم التمريض. وأعتبر أنَّ هذا المركز هو الذي رسم لي مسيرتي في الإدارة التمريضية، لأنني من خلاله أسستُ قسم التمريض من الصفر، وخلال عشر سنوات وظَّفت ودرَّبت أكثر من 200 ممرض وممرضة، وأسستُ مدرسة سكرتارية في الإدارة التمريضية.

فرضت عليَّ متطلَّبات العمل التوقُّف عن عملي التطوعي في الصليب الأحمر، لكنَّني كنت أحرص على المساعدة عند الحاجة.

من التحدِّيات الكبيرة التي واجهتها في مستشفى جبل لبنان كانت خلال حرب تموز 2006، إذ اضطررت للبقاء وحدي لعدَّة أيام لعدم قدرة الفريق التمريضي على الوصول للمستشفى بسبب القصف، والمخاطر الأمنية. فوضعنا آنذاك خطة طوارئ لتقسيم العمل في المستشفى، ونقلنا الأسرَّة، ووحدات العناية الفائقة إلى موقع المستشفى، وباشرنا بالعمل من الموقع. بدأت حينها بتطوير هذه الخطة التي أصبحت لاحقًا مرجعًا أساسيًّا للمستشفى، ولي أيضًا، إذ أعتبرها من أكبر الإنجازات التي أتممتها في مسيرتي حتى الآن.

انتقلتُ الى العمل الاستشاري لكنَّني سرعان ما اخترت تحدِّيًا جديدًا في مستشفى رفيق الحريري الحكومي الجامعي

بعدها، تواصلت معي شركة استشاريَّة طبيَّة لاستلام القسم المتعلِّق بالإدارة التمريضية. كانت هذه فرصة ذهبية لي لتغيير مساري المهني، والانضمام إلى القطاع الاستشاري الخاص، حيث عملت ثلاث سنوات بعد مغادرتي مستشفى جبل لبنان.

عرضت عليَّ إحدى الطبيبات، وهي أستاذتي في كلية التمريض، وكانت تراقب عملي من بعد، أن أعيد تكرار خبرة مستشفى جبل لبنان في مستشفى الحريري. تردَّدت كثيرًا لأنني كنت سعيدة في مركزي في الشركة الاستشارية ولكن ما شجَّعني على التغيير هي امتحانات مجلس الخدمة المدنيَّة التي من خلالها أستطيع أن أرى تصنيفي في لبنان، فقدَّمت وحقَّقت المركز الأوَّل والتحقت بمستشفى رفيق الحريري الجامعي على الرغم من معرفتي أنني سأواجه صعوبات كثيرة في هذا المركز الجديد.

بدأت العمل في مستشفى رفيق الحريري الجامعي في أيار/ مايو 2011، أي في بداية الأزمة السورية، ولا أنكر أن بدايتي كانت صعبة. لم أكن منحازة إلى أي طرف. كان التحدي هو الالتزام المهني برسالتي في التمريض.

كتابة، تطوير، وتطبيق خطة الطوارئ والكود البرتقالي (Code Orange) هي ما يميزُ مسيرتي في التمريض

تهمُّني جدًّا الصحَّة النفسيَّة لفريقي، لأننا تعلَّمنا في تدريب الإسعافات الأولية أن المسعف يجب ألا يعرِّض نفسه للخطر بل عليه أن يحمي نفسه، لأن سلامته تعني سلامة المريض. ويأتي ذلك من خلال التدريب على مواجهة الأزمات مثل التدريب لخطة الطوارئ التي وضعناها في مستشفى الحريري، وهي مستوحاة من خطة الطوارئ التي كنت قد كتبتها وطوَّرتها وطبَّقتها في مستشفى جبل لبنان.

طُبقت هذه الخطة في مستشفى الحريري خلال تفجيرات السفارة الإيرانية في بيروت عام 2013 والتي من خلالها برز اسم مستشفى الحريري كمؤسسة قادرة على مواجهة حالات الطوارئ.

عندما استلم الدكتور فراس أبيض إدارة المستشفى، دُهش بتنظيم القسم التمريضي وتطوره، ما زاد ثقته به، فسلَّمني مسؤوليات أكبر. وعملنا معًا على التنمية الإدارية، والتنمية البشرية، وعلى وضع خطط جديدة لاستيعاب عدد أكبر من المرضى. وأتى ذلك ثماره خلال جائحة كورونا إذ كنَّا مهيَّئين لمواجهة هذه الجائحة، وذلك نتيجة التنظيم الإداري، واستعدادية الطاقم التمريضي. وكان مستشفى الحريري في طليعة المواجهة في الأشهر الستة الأولى، فخلقنا حلقات تواصل لتسهيل عمل المسعفين بفضل دعم اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي جهَّزت طوارئ المستشفى، وساهمت في تأمين كافة الخدمات الطبية.

عند حصولي على وسام فلورانس نايتنغيل، تذكرت الشخص الأول الذي عرَّفني على التمريض والتطوُّع، وعلى الصليب الأحمر، وهو والدي، فأنا أهديه هذا الوسام لأني وصلت إلى ما أنا عليه بفضل دعمه الدائم لي على الرغم من كل التحدِّيات المجتمعيَّة والأمنيَّة والنفسيَّة.

اتصل بي الدكتور أنطوان الزغبي رئيس الصليب الأحمر اللبناني ليعلمني بتسميتي لوسام فلورانس نايتنغيل، وفرحت كثيرًا لحصولي على هذا الوسام لأن فلورانس كانت مناضلة، وسابقة لعصرها ومثالًا يُحتذى به في الحياة بشكل عام، وفي التمريض بشكل خاص. وأعتقد أن هذا الوسام أتى تكليلًا للجهود التي بذلتها في سبيل إعلاء شأن هذه المهنة.

نحن لسنا ملائكة رحمة، نحن إداريُّون ومسعفون، وصوت من لا صوت لهم

رسالتي إلى كل الممرِّضين والممرِّضات أن يكونوا دائمًا صوت المريض، والمدافع الأوَّل عن حقوقه ومطالبه. عليهم أيضًا أن يكسروا حاجز الخوف، ونظرة المجتمع لهم على أنهم ملائكة رحمة. نحن لسنا ملائكة رحمة، نحن إداريُّون ومسعفون، وصوت الذين لا صوت لهم، ونحن أهل المريض، ومن يمسك بيده.

وأقول لهم أيضًا أن يهتموا بصحَّتهم النفسيَّة كما الجسديَّة، فهذا أمر أساسي في إنجاح مهمَّتهم بالحفاظ على سلامة المرضى ■

* موظفة بقسم الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في لبنان

في لبنان: الحرب انتهت، لكن الحياة لم تبدأ بعد

هنادي سلمان*

يجب أن أعترف أن الحرب لم تكن تخيفني في الواقع. فأنا مذْ وعيت، لم أعرف سواها. لم تطرأ فجأة على حياتي. كانت الحياة الوحيدة التي عرفتها منذ طفولتي.

هكذا، كنا نتكوَّم في ممرِّ المنزل، في الظلمة والحرِّ، أشقائي وأنا، ونخترع ما يجعل الوقت يمضي. أمي تفتح المذياع طوال الوقت، ونحن نضحك كلَّما قال المذيع إن الطريق الفلانيَّة أضحت «سالكة وآمنة». لم نكن نعرف تلك الطرقات والشوارع، فنحن لم نزرها يومًا. كنَّا نتكدَّس في الممرِّ المفترض أن يكون الأكثر أمنًا في المنزل.

كنت أتحايل على أمي وأخرج إلى الشرفة. أقف أتفرَّج

اللوحة للفنان المصري آدم حنين (1929 – 2020)

على الشارع الخالي وأستمع إلى أزيز الرصاص من دون أن أعرف أنه يمكن لإحداها أن تخترق جسدي. ثم، وحين كانت أمي تخرج للبحث عني، كنت أختبئ خلف الباب الخشبي، خوفًا من تأنيبها، وليس من تساقط الرصاص.

مع الوقت، لم تعد أصوات القصف تخيف أحدًا. بعيدة كانت أو قريبة. أضحت مجرد إيقاع يضبط وقع النهارات والليالي.

كان أبي، الصحافي، يغيب عنَّا لأيَّام، إذ لا الطرقات آمنة ولا عمله ينتهي. كانت زياراته تشكِّل وميض الفرح الوحيد الذي نعيشه. كنَّا نتحلَّق من حوله، ونشعر بالقوَّة، والأمان. ساعات قليلة كلَّ أسبوعين أو ثلاثة.

لدى انقطاع الكهرباء، كان يقرأ لنا، على ضوء الشمعة، من «كليلة ودمنة». أمَّا في أيَّام توفُّر الكهرباء، فكنَّا نستمع إلى أسطوانات شادية وعبد الحليم وكان يشرح لنا عن الأغاني وكتَّابها وملحنيها.

كنَّا دومًا نغيِّر منزلنا، بسبب الحرب. نهرب من الحمم المعدنيَّة. لاحقًا عرفت أن ذلك اسمه تهجير.

كنَّا نستحم في النادر. كانت المياه مقطوعة معظم الوقت.

كان القيظ خانقًا في الصيف والفراغ قاتلًا في النهارات التي لا تنتهي. نادرًا ما تسمح لنا أمي بالنزول إلى الشارع للعب. وفي بعض المرات، كنا نحصل على إذن للذهاب إلى الدكان لشراء الحلويات.

كان في البيت كتب، أضحت ملاذًا. كان يأتينا بعض الزوار من الأقرباء، فكنّا نُعَيِّد.

كلُّ تلك التفاصيل، التي من الممكن أن تبدو عاديَّة، هي حياة خلال الحرب. تفاصيل حياة ما في الحرب.

العزلة، الشحُّ، الانتظارات، الحزن. تفاصيل حرب في الطفولة.

كلُّ ذلك تغيَّر في المرَّة الأولى الَّتي رأيت فيها دماء. دماء تغطي جسد إنسان، في الشارع. في تلك اللحظة أدركت أن للحرب وجهًا آخر.

جارنا قتل. وجارتنا الحامل اخترقت بطنها قذيفة. جميل، المسلح الذي كان يلاعبنا في فترات «الهدوء» الضنينة، فقد عينه.

لا أعرف كيف لم يصب أحد من أسرتي خلال الحرب. وحده أبي أصيب. ما زال يحمل آثار الطلقات في وجهه. ما زلت أحمل آثار ندوب في قلبي. ما زلنا نحمل آثار ندوب في قلوبنا ووجداننا. من كل ما جرى. ندوب في القلوب والنفوس. ندوب بترت الروح.

ذات يوم، اختار «عبقريُّ حرب» فترة خروج الأطفال إلى المدارس ليقيم حفلة جنون في الاتجاهات كلِّها.

آباء وأطفال يركضون في الشوارع للاختباء، وآخرون يحترقون في سياراتهم.

تلك الفتاة. تلك الفتاة كانت تقف عند مدخل إحدى البنايات. عيناها. كيف أنسى ما رأيته في عينيها؟ كانت في الحادية عشرة؟ الثانية عشرة؟ عيناها، عيناها شاخصتان، تمسك بيدها يد أخيها الصغير. تقف هناك في مدخل المبنى، تمسك يد أخيها، تخبئه خلفها، وتنظر بتلكما العينين إلى الشارع. ماذا تفعل الآن؟ تبقى هنا أم تغادر؟ متى تخرج؟ إلى أين؟ أين أهلها؟ ماذا تفعل الفتاة الآن؟

ذات يوم، قالوا إنَّ الحرب انتهت. صرت أمرُّ في شوارع لم أعرفها من قبل. ما زلت أتوه فيها حتى اليوم. بقيت طويلًا أستعجل إنهاء شؤوني قبل الثانية عشرة ليلًا، موعد انقطاع الكهرباء. أهرع إلى السرير ولا تنطفئ الأضواء.

بدأت المدينة تعيد صياغة حياة لها. أتوه في الشوارع. قالوا إن الحرب انتهت إلَّا أنَّ «الحياة» لم تبدأ بعد. أنا ما زلت أجلس أنتظر استئناف حياتي حيث توقفت. كيف أستعيد تلك الطفلة؟ أم أن كلَّ ما مضى منذ إعلان انتهاء الحرب كان حياتي؟ ثم فهمت: في الواقع، لا تنتهي الحروب أبدًا. تبقى مقيمة، بآثارها، وندوبها، وجراحها، على الأجساد، وداخل الأضلع.

كم جيلًا ولد وعاش بعدما توقَّف تقاذف الحمم المعدنيَّة على هذه الأرض؟

كم جيلًا يستسهل اليوم اندلاع حرب، أيِّ حرب، لمجرَّد إفراغ غلِّه من الآخر، شريكه في الهويَّة، الَّذي ما زال «آخر» بالنسبة له، على الرغم من أنَّه يشبهه حدَّ التماهي.

هل هناك من معنى لأن تروي حياتك خلال الحرب بعد كلِّ هذه السنين؟ هل هناك من معنى لأن تروي حياتك خلال حرب بدأت في السبعينيات بعدما تطورت الحروب وسبل القتل، وقد سحقت بلادًا بأكملها، بعد ضمان استمرار السموم في قتل شعوبها؟ كيف تروي تلك الحرب، وهم يقتلون الأشجار في فلسطين؟

هل تختلف تجارب العيش خلال الحروب عن بعضها البعض؟

هل تُعَّد الحرب المستترة، المبطَّنة، سلمًا؟

هل حقًّا تنتهي الحروب؟ ■

* صحافية لبنانية

عصافير زرقاء
قصّة تتناول خبرة الحرب واللجوء من منظور الأطفال

في شباط/ فبراير 2021، صدر عن دار النشر الأردنية «جبل عمَّان ناشرون» كتاب «عصافير زرقاء: قصَّة حرِّيَّة من قبضة الحرب» للكاتبة السورية الشابة إنجي جرُّوج، التي عاشت تجربة قاسية من النزوح واللجوء، دونتها وهي في سنِّ السادسة عشرة لتعبِّر عن معاناة الأطفال تحت نير الحروب.

تستند القصَّة إلى أحداثٍ وتفاصيل واقعيَّة، عاشتها الكاتبة، وأحداثٍ أخرى حصلت مع آخرين من حولها خلال فترة النزاع الذي استعر في بلدها سورية.

اختارَتْ إنجي أن تكونَ شخصيَّتُها الرئيسيَّة ولدًا؛ لأنَّها أرادَتْ أن تكونَ قصَّةَ كلِّ أطفالِ سورية، بعيدًا عن أيَّةِ أجنداتٍ سياسيَّةٍ أو طائفيَّةٍ أو دينيَّة، لتُجسِّدَ صوتَ الطُّفولةِ وبهجَتَها المسلوبةَ أمام عنفوان آلةِ الحرب وقسوتِها.

تقول إنجي في مقدمة الكتاب: «كتبتُ هذه القصة وأنا في سن السادسة عشرة، وكلي إيمان بأن مثل هذه الصرخة تستحق أن تُقدَّر ويُشعر بها، فهي ليست مجرد صرخة طفل سوريٍّ، بل هي صرخاتُ كلِّ الأطفال السوريِّين في صرخةٍ واحدة».

والمؤلفة من مواليد مدينة حمص السوريَّة عام 2001. وأمضَتْ حياتها هناك حتَّى اندلعت الحرب في سورية، حيث اضطُرَّتْ وعائلتها إلى النُّزوح، ولم يصلوا إلى الاستقرار إلى اليوم. قُبِلت إنجي في سنِّ السادسة عشرة في إحدى «مدارس العالم المتَّحدة»، بمنحةٍ دراسيَّةٍ لدراسة البكالوريا الدوليَّة في جمهورية البوسنة والهرسك.

والكتاب يسلِّط الضوء على دور الفنِّ ورواية القصص في معالجة المشاعر والتجارب الصعبة وخلق وعي عامٍّ بطريقة عاطفية كما يظهر مهارات اللاجئين ومواهبهم.

في مستهل القصة، تسرد إنجي بلغة سهلة ومعبرة حياتها كطفلة، مستهلة برسم صورة لمكان أحداث القصة: «في شمال وسط سورية، على الضفة الشمالية لنهر الفرات، ترقص مدينة الرقة تحت شمس مشرقة وعلى أرض عسلية تتخللها بعض الخضرة التي تتزايد ما إن اقتربنا من هذا النهر الكريم. هناك في شارع بسيط من حي أبسط كنت أعيش مع عائلتي الصغيرة».

وتصف إنجي وضع طفل سعيد في مدينتها وبلدها، من أب وأم حنونين. كان الأب «ماردًا سحريًّا، كنت أومن بأن عضلات يديه تستطيع حمايتي وبأن عينيه قادرتان أن تعرفا ما أريده، لتلبياه حالًا». كان الطفل بطل القصة طفلة سعيدة بعطف أبيها وبحنان أمها: «كان حضن أمي دافئًا ومريحًا، فكان باتساعه كأنه مدينتي».

لكن سرعان ما انقلب الحال، وتحولت هذه البساطة والوداعة والأيام الجميلة التي تتوالى أحداثها بسلاسة طبيعية إلى النقيض. تكتب: «وفي أحد الأيام وقع ما يصعب جدًّا تصديقه...».

تصف إنجي المشهد: «أخذتِ الحربُ منَّا كلَّ شيء منذ أن كنتُ في سنِّ السادسة. في البداية ظننَّا أنَّها ستنتهي خلال أسابيع أو أشهر لكنَّها لم تترُكْنا. أتى الحصار إلى مدينتنا ومعه الخوفُ والجوع وكلُّ ما يمكن أن يحرق قلبَ صغيرٍ مثلي».

ويتضمن الكتاب رسومات من عمل الفنان حسان مناصرة الحاصل على جوائز عربية وعالمية عدة، أعطت غنى ومعنى أكبر للقصة، حسبما يقول بيان عن دار النشر الأردنية «جبل عمَّان ناشرون».

لمزيد من التفاصيل عن الكتاب والحصول عليه، وكذلك تحميل الفصل الأول منه، زر موقع الناشر على هذا الرابط
https://www.japublishers.com/bluebirds/

ICRC

ICRC

جنيف:

يوم مانديلا، تحسين حياة المحتجزين

أحيا العالم ذكرى الزعيم المناهض لسياسة الفصل العنصري نيلسون مانديلا، الذي كان أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، وذلك يوم 18 تموز/ يوليو الماضي، وهو الموافق يوم ميلاده، والمعروف أيضًا باسم «اليوم الدولي لنيلسون مانديلا».

وقد زار موظفو اللجنة الدولية للصليب الأحمر السيد مانديلا عدة مرات خلال فترة سجنه والتي استمرت 27 عامًا (وتظهر زنزانته الخاصة في صورة حصرية أعلى الخبر) وقال مانديلا في وقت لاحق لهذه الزيارات: «ما يهم ليس فقط الأمور الإيجابية التي تحققها اللجنة الدولية وإنما العواقب السيئة التي تمنع وقوعها».

وفي سجن جزيرة روبن في جنوب أفريقيا، قاد مانديلا حركة عصيان مدني أدت إلى ظروف أفضل للسجناء. وتصف سيرته الذاتية «الطريق الطويل إلى الحرية» كيف أدى العصيان إلى تحسين الطعام والسماح بدخول الصحف.

وقد فحص خبراء مجموعة قواعد، مصاغة منذ 60 عامًا، وتوجز الحد الأدنى من المعايير الواجب توفُّرها في معاملة السجناء، ومُنحت اسمًا جديدًا عقب عملية مراجعة وتنقيح امتدت أربع سنوات بقيادة الأمم المتحدة. وتُعرف هذه القواعد الآن باسم «قواعد مانديلا».

وتستند القواعد إلى معاملة جميع السجناء باحترام لكرامتهم المتأصلة وقيمتهم كبشر، وحظر التعذيب وغيره من ضروب سوء المعاملة. كما أن القواعد توفر إرشادات مفصلة حول مجموعة واسعة من القضايا التي تتراوح بين التدابير التأديبية والخدمات الطبية. على سبيل المثال، فإنها تحظر الحد من طعام أو ماء السجين، وكذلك استخدام أدوات ضبط النفس التي تكون مهينة أو مؤلمة بطبيعتها، مثل السلاسل أو الحديد.

أديس أبابا:

اللجنة الدولية تساعد في إنتاج العكازات ومقابضها

بدأ مركز نيكيمتي لإعادة التأهيل البدني، الواقع في منطقة ووليجا بإقليم أوروميا (غرب إثيوبيا)، إنتاج العكازات ومقابضها بدعم تقني ومادي من اللجنة الدولية.

وقال «أليمو واكوما»، مدير مركز نيكيمتي لإعادة التأهيل البدني، إن إنتاج مثل هذه المنتجات المذكورة يشكل أهمية بالغة في مساعدة ذوي الإعاقات الجسدية الذين يعيشون في بلدة نيكيمتي والمناطق المحيطة بها، للحصول على المنتجات بسهولة.

قال مدير البرنامج: «اعتاد ذوو الإعاقة الجسدية من قبل إنفاق ما يقدر بـ 300 بر إثيوبي لكل زوج من العكازات و40 برًّا إثيوبيًّا لكل مقبض عكاز، بيد أنه بات بوسعهم الآن الحصول عليه مجانًا من المركز. ولم يكن ذلك ممكنًا لولا الدعم الذي قدمته اللجنة الدولية».

وقال «فيليب مورغان»، مدير برنامج إعادة التأهيل البدني في اللجنة الدولية: «تبرعت اللجنة الدولية بماكينة حقن يتم تشغيلها هيدروليكيًّا تنتج عكازات ومقابض عكازات». وأضاف: «قدمت اللجنة الدولية أيضًا تدريبًا أثناء العمل لموظفيها لتمكين المركز من البدء في إنتاج المنتجات المذكورة».

ويستخدم المركز المواد المتبقية من تصنيع الأطراف الاصطناعية وأجهزة التقويم كمواد خام لإنتاج مقابض العكازات والعكازات.

وقد بدأ المركز بالفعل إنتاج مقابض العكازات وسيبدأ تجميع العكازات قريبًا. وينتج المركز، بسعته الحالية، 20 مقبض عكاز وسيجمع 10 عكازات أسبوعيًّا.

في إثيوبيا، تدعم اللجنة الدولية خدمات إعادة التأهيل البدني الإقليمية بالخبرة التقنية والسريرية ومواد ومكونات مستوردة. كما تعمل مع المنظمات الحكومية المعنية من أجل إدماج ذوي الإعاقة اجتماعيًّا.

دمشق:

جلسات توعية للأطفال حول مخلفات الحرب

شارك أكثر من 30 طفلًا في جلسات التوعية حول مخلفات الحرب نظمتها اللجنة الدولية في منطقة الفليطة بريف دمشق، بالتعاون مع الهلال الأحمر العربي السوري.

ضمت الجلسات عروض مسرحية ورسومات لتعريف الأطفال على أشكال مخلفات الحرب والرسائل الأساسية لتجنب الإصابة الناجمة عن الألغام والذخائر غير المتفجرة.

القاهرة:

اللجنة الدولية تتبرع بمعدات طبية لوزارة الصحة المصرية لمواجهة أزمة كورونا

ICRC

تبرعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بمعدات وقاية شخصية ومكثفات أكسجين، بقيمة 9 ملايين جنيه، لوزارة الصحة المصرية وذلك ضمن دعم الجهود الوطنية لمواجهة فيروس كورونا المستجد. تضمن التبرع 15 مكثف أكسجين وعددًا من الأقنعة والأردية الوقائية، والمآزر الطبية بالإضافة إلى أجهزة قياس الحرارة عن بعد.

وتقدمت وزيرة الصحة المصرية الدكتورة هالة زايد بالشكر للجنة الدولية لتقديمها الدعم لمصر خلال أزمة فيروس كورونا، والتعاون المستمر مع الوزارة لدعم منظومة الرعاية الصحية والعاملين بها.

ومن جانبه، أكد الدكتور جيل كاربونير، نائب رئيس اللجنة الدولية، خلال لقائه مع الوزيرة [في أيار/ مايو] على حرص اللجنة الدولية على المساهمة في الدور الفعال الذى تقوم به وزارة الصحة المصرية للتصدي للجائحة للسنة الثانية على التوالي، وقال: «نحن على استعداد لتقديم المزيد من الدعم حسب الحاجة. هذه أزمة عالمية ونحن معًا فيها».

وناقشت الدكتورة هالة زايد والدكتور كاربونير في الاجتماع جهود وزارة الصحة لمكافحة كوفيد-19 وسبل تعزيز التعاون بين اللجنة الدولية ووزارة الصحة في عدة مجالات، بما في ذلك تدريب العاملين في مجال الرعاية الصحية وتعزيز الوصول إلى الرعاية الصحية فى شمال سيناء.

وتتعاون اللجنة الدولية مع وزارة الصحة المصرية منذ عام 2014، حيث نظمت العديد من الدورات التدريبية التى تضمنت التعامل مع الإصابات في غرف الطوارئ لأكثر من 200 طبيب وجراح. وتتعاون اللجنة الدولية أيضًا مع هيئة الإسعاف المصرية في إدارة عدة برامج تدريبية، أهمها حول حوادث الإصابات الجماعية وبرامج الصحة النفسية والدعم النفسي للمسعفين الأوليين.

منذ بداية أزمة جائحة كورونا فى مصر، عملت اللجنة الدولية على دعم استجابة المنشآت الصحية والهلال الأحمر المصري لفيروس كورونا من خلال التبرع بمعدات الوقاية الشخصية. تعمل اللجنة الدولية في أكثر من 90 دولة حول العالم، بما في ذلك مصر حيث تعمل بها منذ أكثر من قرن من الزمان. واللجنة الدولية منظمة غير متحيزة ومحايدة ومستقلة.

... و«تغير المناخ والنزاعات المسلحة» موضوعًا لمسابقة بحثية جديدة

أعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أنها اختارت موضوع «تغير المناخ والبيئة والنزاعات المسلحة» عنوانًا لمسابقتها البحثية لهذا العام.

وتهدف هذه المسابقة البحثية القانونية إلى حث الباحثين والخبراء لتحليل واكتشاف الصلة بين تغير المناخ والنزاعات المسلحة، من خلال بحث تأثير تغير المناخ في السكان المدنيين، مع التركيز بشكل خاص على المياه نظرًا لأهميتها في المنطقة العربية وكيفية مواءمة تنفيذ القانون الدولي الإنساني وتفسيره للتصدي لهذه القضايا الإنسانية.

وقال بيان الجائزة: «في اللجنة الدولية، لا تزال قضايا البيئة وتغير المناخ وقدرة المجتمعات المتضررة على الصمود تتصدر عملنا القانوني والعملياتي. إلا أنه ليس بالأمر السهل، ليس فقط بسبب تعقيد النزاعات المسلحة وحالات الطوارئ الإنسانية، بالإضافة إلى تأثير جائحة كوفيد-19 الأخيرة، ولكن أيضًا بسبب الحاجة إلى المزيد من العمل الذي يتعين القيام به بشأن تداعيات تغير المناخ في المناطق المتضررة من النزاعات وحالات العنف الأخرى على حماية المدنيين، وحماية البيئة – بما في ذلك مسائل ندرة المياه –وطريقة خوض الحروب في النزاعات المسلحة، وكذلك الآثار المترتبة على تفسير وتطبيق القانون الدولي الإنساني».

وفي النسخ الماضية من المسابقة، تلقت اللجنة الدولية مساهمات متميزة كمًّا وكيفًا حول المواضيع التي طرحتها كقضية المفقودين (محور مسابقة العام 2018) ومرور سبعين عامًا على اتفاقيات جنيف (محور مسابقة العام 2019)، وكذلك «التصدي لكوفيد-19: الجوائح والقانون الدولي الإنساني» (محور مسابقة العام 2020).

وحدد بيان إعلان الجائزة بعض المواضيع المقترحة للكتابة:

- العلاقة بين تغير المناخ والنزاعات المسلحة
- قانون الحرب (النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية).
- القواعد والمبادئ العامة للقانون الدولي الإنساني أو موضوعات القانون الدولي الإنساني ذات الأولوية (مثل الرعاية الصحية في خطر وحرب المدن) وعلاقتها بتغير المناخ والبيئة.
- مواءمة تنفيذ القانون الدولي الإنساني للاستجابة لتغير المناخ.
- التحديات القانونية المرتبطة بتغير المناخ والنزوح وعدم الإعادة القسرية في النزاعات المسلحة.

وتقدم المسابقة جائزة مالية قدرها 1500 دولار للبحث الفائز بالمركز الأول، و1000 دولار للمركز الثاني، و750 دولارًا للمركز الثالث.

يُرجى إرسال المقال إلى olotfy@icrc.org قبل الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 2021 الساعة 18:00 (بتوقيت القاهرة).

بغداد/ الكويت:

إغلاق ملفات عشرة أشخاص فقدوا خلال حرب الخليج الثانية

في إطار الاجتماع الـ51 للجنة الثلاثية الذي عُقد في أيار/ مايو برعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أعلن رسميًّا عن إغلاق ملفات عشرة مفقودين وأسرى حرب فقدوا إبان حرب الخليج 1990–1991.

وأغلقت ملفات لتسعة مفقودين من أصل عشرة (8 مواطنين كويتيين ومواطن سعودي واحد) بعد التعرف على هوياتهم بناءً على تحاليل الحمض النووي التي أجرتها الإدارة العامة للأدلة الجنائية الكويتية. أما الملف الأخير فيعود لجندي عراقي عُثر على رفاته مطلع شهر شباط الماضي في جزيرة بوبيان التي تقع شمال الكويت. وتمت إعادة رفات الجندي العراقي من دولة الكويت إلى جمهورية العراق في شهر آذار 2021.

وقد عثر على رفات المفقودين التسعة المشار إليهم أعلاه في موقع دفن ضمن قضاء السماوة في العراق خلال شهر آذار/ مارس 2019، بفضل الجهود المشتركة للسلطات العراقية والكويتية بمساعدة خبراء من اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إطار عمل اللجنة الفنية الفرعية.

ومنذ تأسيس اللجنة الثلاثية في عام 1991 واللجنة الفنية الفرعية التي انبثقت عنها في عام 1994، تواصل اللجنتان عمل أفضل ما بوسعهما لإعطاء إجابات لعوائل الأشخاص الذين فقدوا إبان حرب الخليج 1990–1991. وما تزال اللجنة الثلاثية ملتزمة بتقديم أكبر عدد ممكن من الإجابات للعوائل التي ترغب في معرفة مصير أبنائها ودفنهم بغض النظر عن الوقت الذي انقضى منذ فقدانهم. ومن المؤمل أن يُسهم دفن أصحاب الرفات في وضع حدٍّ لمعاناة عوائلهم المفجوعة بفقدانهم.

وتترأس اللجنة الدولية للصليب الأحمر هاتين اللجنتين واللتين تتألفان من ممثلين عن جمهورية العراق ودولة الكويت والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والجمهورية الفرنسية. وقد انضمت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) إليهما مؤخرًا في عام 2014 بصفة مراقب.

عمَّان:

مسابقة للصحافيين حول أفضل تقارير بشأن القضايا الإنسانية

أعلنت بعثة اللجنة الدولية في عمَّان عن جائزة مخصصة للصحافيين الأردنيين حول أفضل تقارير بشأن القضايا الإنسانية في الإعلام الأردني.

والجائزة هي ثمرة تعاون اللجنة الدولية ونقابة الصحافيين الأردنيين وجمعية الهلال الأحمر الأردني للصحافيين الممارسين للمهنة في الأردن.

وقالت السيدة «ساندرا تيتامانتي»، رئيسة بعثة اللجنة الدولية في الأردن، في حديثها عن الجوائز: «تهدف الجائزة الإنسانية إلى تشجيع الصحافيين على تقديم تقارير بشأن القضايا الإنسانية في الإعلام الأردني، ومكافأة الصحافيين الذين يسلطون الضوء على الناس في قصصهم حول الشواغل الإنسانية». وعلاوة على ذلك، أضافت أنه من خلال الجوائز، يأمل المنظمون في «إيجاد أوجه تآزر بين وسائل الإعلام الأردنية والمجتمع الإنساني في عمَّان والمساعدة في تحديد شكل المناقشات بشأن القضايا الإنسانية المهمة».

وتنقسم المسابقة إلى فئتين هما: أفضل قصة حول موضوع إنساني، وأفضل صورة حول موضوع إنساني حسبما أنتجها ونشرها صحافيون أردنيون. تتاح إمكانية المشاركة للصحافيين الذين ينتمون إلى نقابة الصحافيين الأردنيين أو هيئة الإعلام وسيغلق باب المشاركة بحلول يوم 7 أيلول/ سبتمبر 2021.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

ICRC

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (14) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 2 (972+) فاكس: 5917920 2 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

الجزائر: 43 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 183 467709 (249+)
البريد الإلكتروني: kha_khartoum@icrc.org
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 11 3310441 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

الرباط: 35 زنقة القلصدي (خلف مصحة ابن خلدون) ، أكدال 10090، الرباط
هاتف : 537750551 (212+) فاكس : 537651018 (212+)
البريد الإلكتروني: rab_rabat@cicr.org

القاهرة: 84 شارع 104 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، مصر
هاتف: 41/25281540 2 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 8، شارع رقم 17، منزل رقم 4 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بغداد: الصالحية، حي السكك، محلة 220، زقاق40 دار 6 ص.ب 3317 العلوية بغداد– العراق
هاتف: 7/8126 443 770(0) (964+) 5/7801 964614(0) (964+)
البريد الإلكتروني: bagdad@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/1 739299 (961+) فاكس: 1 740087 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/71 960196 (216+) فاكس: 71 960156 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

جوبا: شارع الوزارات العمارات، جوبا، جمهورية جنوب السودان
هاتف: 889 151 977 0/170 275 912 0 (211+)
البريد الإلكتروني: jub_juba@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 11 3310441 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب مصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21/9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–2122645821 (98+) فاكس: 2122600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 1 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

نواكشوط: الحي A، المنزل رقم ZRA 722، صندوق البريد 5110، نواكشوط، الجمهورية الإسلامية الموريتانية
هاتف: 45245810/45244738 (222+) فاكس: 45244697 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@cicr.org

الاستجابة للكشف عن العنف الجنسي: دليل عملي

يمثل التصدي للعنف الجنسي أولوية مؤسسية للجنة الدولية، وهو ما ينعكس في إستراتيجية اللجنة الدولية إزاء العنف الجنسي 2018–2022 والإستراتيجية المؤسسية للجنة الدولية. الاستجابة للكشف عن العنف الجنسي – دليل عملي – هو مذكرة إرشادية تقنية مؤسسية للتصدي للعنف الجنسي. ويحدد المبادئ الأساسية لنهج الكشف الذي يتمحور حول الناجين: الاحترام، وعدم التمييز، والسلامة، والسرية، والموافقة المستنيرة. ويتضمن توجيهات بشأن كيفية إحالة ضحية/ناجٍ من العنف الجنسي إلى خدمات مثل الرعاية الصحية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي والمساعدة القضائية والقانونية ودعم سبل العيش والحماية. كما يتناول كيفية شرح القيود على الرعاية المتاحة، وما يجب فعله عند عدم توفر خدمات مساعدة للضحية/الناجين من منظور عدم إلحاق الضرر.

وُضع التوجيه بأخذ جميع الوظائف وموظفي البعثة في الاعتبار، لأن التصدي للعنف الجنسي هو مسألة تُعمم في جميع البرامج والعمليات. يُصنف التوجيه والخطوات العملية التي يتضمنها حسب كل دور. يمكن استخدام هذا التوجيه داخليًا لتوعية الموظفين وبناء قدراتهم للاستجابة للكشف عن عنف جنسي والمشاركة مع المجتمعات المحلية بشأن التصدي للعنف الجنسي (بما في ذلك الإستراتيجيات للتخفيف من حدة المخاطر). كما يمكن استخدامه لبناء القدرات لمقدمي الخدمات أو شركاء اللجنة الدولية الآخرين مثل الجمعيات الوطنية.

تشمل المواضيع الأخرى في السلسلة الإرشادية للتصدي للعنف الجنسي ما يلي:

إنشاء نظم إحالة جيدة للضحايا/الناجين من العنف الجنسي وغيره من العنف القائم على النوع الاجتماعي.

استخدام المساعدة النقدية والمساعدة بالقسائم لمنع حدوث العنف الجنسي ومواجهته.

التأكد من تحليل الوضع وجمع البيانات بصورة آمنة وأخلاقية تتضمن قوائم مرجعية لتقييم جودة الخدمات لكل قطاع.

للحصول على الدليل، اضغط هنا

https://www.icrc.org/ar/publication/الاستجابة-للكشف-عن-العنف-الجنسي-سلسلة-إرشادية-بشأن-التصدي-للعنف-الجنسي

التدابير المحلية لتنفيذ اتفاقية حظر الألغام المضادة للأفراد

تتضمن هذه الاتفاقية تدابير وآليات متنوعة لتعزيز تنفيذها وكفالة الامتثال لأحكامها. وقد يستلزم بعض أحكامها اعتماد الدول الأطراف تشريعات محلية ولوائح إدارية. وقد يشمل ذلك اعتماد تشريعات جنائية، بما في ذلك فرض عقوبات جزائية، لكفالة احترام أحكام الاتفاقية داخل أراضي الدول الأطراف، واحترامها من قبل الأشخاص الخاضعين لولايتها أو سيطرتها. وقد يتطلب الأمر إصدار تعليمات إدارية للقوات المسلحة وإدراج تغييرات في العقيدة العسكرية، والسياسات العسكرية، والتدريب العسكري. تتيح قائمة المراجعة هذه إرشادات للدول بشأن الإطار القانوني/ التنظيمي/ الإداري اللازم لكفالة تنفيذ الاتفاقية، وكذلك الممارسات السليمة وهو مكمل للقانون النموذجي للجنة الدولية للصليب الأحمر.

للحصول على هذه المطبوعة، اضغط هنا

https://www.icrc.org/ar/publication/قائمة-مراجعة-التدابير-المحلية-لتنفيذ-اتفاقية-حظر-الألغام-المضادة-للأفراد

التدابير المحلية لتنفيذ الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية

تتضمن الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية تدابير وآليات متنوعة لتعزيز تنفيذها وكفالة الامتثال لأحكامها. وقد يستلزم بعض أحكامها اعتماد الدول الأطراف تشريعات محلية ولوائح إدارية. وقد يشمل ذلك اعتماد تشريعات جنائية، بما في ذلك فرض عقوبات جزائية، لكفالة احترام أحكام الاتفاقية داخل أراضي الدول الأطراف، واحترامها من قبل الأشخاص الخاضعين لولايتها أو سيطرتها. وقد يتطلب الأمر إصدار تعليمات إدارية للقوات المسلحة وإدراج تغييرات في العقيدة العسكرية، والسياسات العسكرية، والتدريب العسكري. تتيح قائمة المراجعة هذه إرشادات للدول بشأن الإطار القانوني/ التنظيمي/ الإداري اللازم لكفالة تنفيذ الاتفاقية، وكذلك الممارسات السليمة وهو مكمل للقانون النموذجي للجنة الدولية للصليب الأحمر.

للحصول على المطبوعة، اضغط هنا

https://www.icrc.org/ar/publication/قائمة-مراجعة-التدابير-المحلية-لتنفيذ-الاتفاقية-بشأن-الذخائر-العنقودية

will find here some poems on war and refugees, in addition to an article on human values in Mahmoud Darwish's poetry.

The interview addresses the challenges faced by humanitarian work due to the COVID-19 pandemic Gilles Carbonnier, ICRC's vice-president, analyzes the horizon of humanitarian work and ICRC's experience during this exceptional and difficult times where world politics is overwhelmed by the pandemic.

As usual, many articles are dedicated to analyzing and examining IHL issues and problems. Readers will find an article analyzing the legal and humanitarian problems resulting from using military drones, and two articles dedicated to reviewing the Updated Commentary on the Third Geneva Convention relating to prisoners of war. The first article sheds light on the significance of the Commentary and its legal importance; the second demonstrates the stance of prominent Islamic jurists on prisoners of war, providing links with rules of the Third Convention.

This issue brings together articles by contributors from different Arab countries. One article reviews a book by Injy Jarrouh, a young Syrian writer, who tells her harrowing experience of displacement and seeking refuge. She recalls her experience when she was 16 expressing the untold suffering of children in war.

We do hope readers will find the content helpful. A bird's eye highlights on the role of IHL in addressing this crisis may prove beneficial.

«Al-Insani»

Contents

• A Slice of Bread Means a Lot: Violence in Tigray and a terrible humanitarian crisis in Ethiopia.
An armed conflict eruptingin November 2020 in Tigray resulted in huge human losses and a terrible humanitarian crisis in the region. This report describes the repercussions of conflict in which thousands have lost their lives, while hundreds of thousands have been forced to the brink of famine and more than a million people fleeing violence have been displaced.

File:
• "Bitter Harvest: The Huge Humanitarian Cost of a Decade of Arab Wars," Professor Amani Soliman, Alexandria University, Egypt.
The article demonstrates the timeline of the last decade dominated by armed conflicts which brought death to hundreds of thousands of people and displacement and injury of other millions.

• Syria: Ten Years of Conflict. A Gruesome Humanitarian Scene
Syrians have completed ten years of armed conflict that their country had never witnessed in its modern history – a horrifying conflict for civilians who experienced constant fear and pain due to death, destruction and displacement. This report depicts the conflict and its devastating consequences.

• "Game of Life," Nahed Hashim, Translator, ICRC, Libya.
For children who experienced war and were used to witnessing killing war has become a game. But how can you make these kids play a game of life instead of a game of death?

• "Conflict in Yemen: Eyes Never Tell Lies," Basheer, the ICRC Spokesperson in Yemen
When the conflict had erupted in Yemen, the writer of this article thought that it would continue only for a few months. He was wrong; six years of conflict have now passed. One cannot realize the fact that this is a war zone until one lived the experience himself. Death may chase you while you are crossing the street: a stray bullet, intermittent clashes, or even a sudden shelling. This is the reality of conflict in Yemen.

• "A Country Where Walls Speak: Language is No Barrier to Understand Suffering in Yemen," Celine Degen
Years following the conflict in Yemen, the humanitarian consequences caused one of the worst global crises. Yet, there is some beauty an eye would see in Yemen.

• "I think I brought the war with me": Poems on War and Asylum, selected and translated by Dai Rahmy.
Ghazy Akela, a Palestinian first aid officer: "We have never imagined Digging out, searching for whole families under the rubble."
Interviewed by Hisham Mahana, ICRC Communication Officer, Gaza Delegation.

• Ghazy Akela, a Palestinian Red Crescent first aid officer, described May escalation in Gaza as the worst of its kind since many years because of the widespread bombing. He said that the untold psychological stress caused by his work in saving victims of violence has left a non-erasable trace in his memory.

• "Between offering consolation and journalistic covering," Samar Al Ouf's Camera is a witness on the destruction of Gaza
An article with photos and a testimony by the Palestinian journalist Samar Al Ouf. It tackles the challenges of covering the violence wave that hit Gaza Strip during May 2021, causing large-scale destruction in infrastructure and human losses.

• "As you Fight Your Wars, Think of Other Humans: Human dimensions in Mahmoud Darwish's Poetry," Sayed Mahmoud, an Egyptian journalist.
There are hundreds of articles written about the Palestinian poet Mahmoud Darwish (1941-2008) and his poetical works. These articles presented him as the poet defending the just cause of his country. Such a reading had spread to the extent that it confined his talent to the political realm, while the true poet is the one who can really give his poetry a human dimension through which it transcends geography to become always present in history.

• "Ten Years of Walking in Place," Nora Nagy, Egyptian Novelist.
Nora Nagy traces the history of the 2011 Revolution in Egypt by walking in Tahrir square that witnessed it.

• "The Legality Dilemma: Drones and Problems of Compliance with International Law," Abu Bakr El-Deeb, an Egyptian Judge.
Information technology community has not given the law and policy communities enough time to codify the rules necessary to confront the grave violations committed when using new technologies in war, including armed drones, under the pretext of countering terrorism. Hence, the so-called "War on Terrorism" paved the way for killing a lot of people with these weapons.

• Gilles Carbonnier, "COVID-19 pandemic has not prevented us from carrying out 90% of our activities in the field," interviewed by Zainab Ghosn
An excerpt from an interview we had with Gilles Carbonnier, ICRC Vice-President, discussing the current situation of humanitarian work in the Middle East and the challenges faced by humanitarian organizations, such as the ICRC, in areas of protracted conflict and in the field of humanitarian work in general, with an explanation of the challenges faced by the ICRC: Economic, health and social challenges during the Covid-19 pandemic and the achievements made during the crisis.

• A New Tool of Protection: "The Updated Commentary on the Third Geneva Convention on Prisoners of War is out", Ahmed Zaki Othman.
The ICRC has recently released the ICRC's Updated Commentaries on the Third Geneva Convention, providing an update and contemporary interpretation of the main effective protection measures enshrined in the Third Convention.

Commentary on the Third Geneva Convention: "Treatment of Prisoners of War from an Islamic Perspective," by Ahmed Daoudi
While the universal ratification of the Geneva Conventions is a relatively recent phenomenon, war has always been subject to specific principles and customs. Given that two-thirds of world armed conflicts today occur in contexts involving Muslim parties, and some bearers of arms cite Islamic law as a reference to justify their behaviour, this article tackles some religious texts for an insight into the treatment of prisoners of war.

• Nurse Waheeda Ghalayini: We are not angels, but we are the voice of the voiceless. Interviewed by Lynn Hamasni
Within years, Waheeda Ghalayini has emerged as an activist in the field of public health and nursing education in conflict and disaster zones. She started as a young volunteer during the Lebanese civil war, and her efforts were recognized when she received the Florence Nightingale Medal. This award acknowledged her efforts in developing nursing in her home country, as well as her values of integrity and independence in medical work.

• "In Lebanon: War is over, but life has not yet begun," Hanadi Salman, a Lebanese journalist.
Does telling your life story during the war after all these years make any sense? Is there any sense in talking about your life during a war fought in the seventies after war and its methods have developed and destroyed entire countries? How do you talk about that war while trees are being killed in Palestine?

• "Blue Birds: A story about the experience of war and asylum from a children's perspective."
In February 2021, Jabal Amman Publishers, a Jordanian publishing house, published "Blue Birds: A Story of Freedom from the Grip of War" by the young Syrian writer Enjy Jarrouj, who lived a harrowing experience of displacement and asylum. She wrote the book at the age of sixteen to express the suffering children face because of war.

• From Around the world

• Publications

Editorial

A New Arab Decade o Suffering

Crises that hit Syria, Libya, Yemen, and other countries left a heavy toll on the wounded and the dead and left us grief-stricken. Terrible consequences of these crises caused grief and inflicted widespread destruction turning whole cities into ruins, uncontrollable internal displacement, and refugee crises worldwide.

We are shocked to find that negligence to the basic tenets of the International Humanitarian Law (ILH) is at the root of these conflicts. Disproportionate military attacks are launched in densely populated urban areas, civilians and public property are deliberately targeted, people are detained unlawfully and are deprived of contacting their family members.

In this issue, Al Insani sheds light on major humanitarian crises and challenges facing the Arab region today. In Syria, where an inhumane conflict-afflicted people, many Syrians grew into adulthood knowing only images of fighting and violence in their homeland. In Yemen, millions of people experience hunger daily because of the devastating conflict, economic collapse, and health system disruption. The Beirut blast, which destroyed the port and surrounding neighborhoods, left Lebanon with wounds and psychological scars. In Gaza, millions of people still suffer the prolonged impact of Israeli occupation.

This issue does not confine itself to monitoring and reporting the staggering facts and figures of the field. We have not succumbed to the harsh realities in the Arab world. Rather, we sought hope in poetry. Readers

باقون في أفغانستان

استحوذت الأحداث الأخيرة في أفغانستان على انتباه العالم، الكثير من تلك المشاهد يجلب معها مشاعر الحسرة. لقد تحمَّل المدنيون الأفغان عقودًا طويلة وقاسية من الصراع، آخرها الجولة الأخيرة التي أفضت إلى جرح وتشريد آلاف المدنيين.

وخلال سنوات المعاناة هذه، حافظت اللجنة الدولية على التزامها الراسخ تجاه الشعب الأفغاني. منذ العام 1987، ونحن نواصل العمل لمساعدة ضحايا النزاع وحمايتهم. التحديات الإنسانية ضخمة في أفغانستان. ففي أقل من شهر، تدفق أكثر من سبعة آلاف مصاب بسلاح ناري بفعل ضراوة القتال لتلقي العلاج في مرافق صحية تدعمها اللجنة الدولية. هؤلاء يحتاجون إلى علاج طويل الأمد، ويستغرق التعافي– الجسدي والنفسي– من هذه الإصابات سنوات مديدة.

نحن في أفغانستان من أجل تقديم يد العون. قصص نجاحنا كثيرة، ومنها مرات كثيرة نجحنا فيها في رسم بسمة على وجه طفل مصاب تمكن بإصراره من استعادة القدرة على المشي.